

كلية اللغة العربية بأسيوط
المجلـة العلميـة

العادات المصاحبة للأوبئة في مصر في عصر المماليك
(٦٤٨-٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

إعداد

د/ أسماء جلال صالح

مدرس التاريخ الإسلامي
كلية الدراسات الإنسانية ـ تفهنا الأشراف
جامعة الأزهر

(العدد التاسع والثلاثون)

(الإصدار الأول ـ الجزء الثاني)

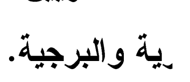
(١٤٤١هـ/ ٢٠٢٠م)

العادات المصاحبة للأوبئة في مصر في عصر المماليك
(٦٤٨-٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)

أسماء جلال صالح
قسم التاريخ الإسلامي - كلية الدراسات الإنسانية - تفهنا الأشراف
البريد الإلكتروني:ajsaleh@kku.edu.sa

الملخص :
يتناول هذا البحث العادات المصاحبة للأوبئة التي تعرضت لها مصر في عصر المماليك البحرية والبرجية (٦٤٨-٩٢٣ هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م) ، حيث تناولت الدراسة التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة، ثم التعريف العلمي للمرض مع ذكر أنواعه، كما ذكرت الطواعين التي ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية والبرجية في الفترة من (٦٧٢- ٩١٩هـ/ ١٢٧٣-١٥١٣م) والعادات المصاحبة لها. وقد اجتاحت هذه الأوبئة المجتمع المصري بمختلف طبقاته، وصاحب ذلك ظهور الكثير من العادات الاجتماعية في مصرفي تلك الفترة، وقد رصدت في هذه الدراسة أهم الأوبئة التي ظهرت في مصر، مع ذكر العادات المصاحبة لها لدى كافة طبقات المجتمع المصري لدى السلاطين والوزراء و الأم ... ة المصريين.

الكلمات المفتا ... ية والبرجية.





The behaviors Companion to epidemics in Egypt during The Mamluk Era(648- 923A.D) /1250-1517A.H

Asmaa Jalal Saleh
Department of Islamic History, Faculty of Human Studies, Al- Azhar University, Tafahna Al-Ashraf, Egypt .
E mail. ajsaleh@kku.edu.sa

Abstract :

This search include the behaviors which Companion to Plagues and epidemic in Egypt during The Bahri clique Mamluks (1250 – 1381 A.D) and the Burgi Mamluks (1382 – 1517). The research included definition the Plagues means in The Noble Prophet's Sunnah and Scientific definition of the disease , and its sorts. the Study focused on plagues during The Bahri and Burgi Mamluks Sultans and its behaviors which Companion to it. Egypt saw number of outbreak of epidemics which led to demographic crisis affected the different classes of the Egyptian people, So Social new habits emerged between different Egyptian society class, like as Mamluks Sultans , ministers , princes, Notables, Jurists, Scientists and Egyptian populars.

Keywords: **behaviors - Epidemics – Plagues - Bahri Mamluks - Burgi Mamluks.**

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، يسمع دعاء الخلائق ويُجيب، يستر العصاة، ويُمهل البغاة، ويجيب المضطر إلى دعاه، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وإمام المتقين، المبعوث رحمة للعالمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد...

تعددت الأوبئة التى اجتاحت مصر خلال العصر المماليك البحرية والبرجية (٦٤٨-٩٢٣هـ / ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، وكانت هذه الأوبئة غامضة فى أذهان العامة، وحتى الأطباء الذين حاولوا أن يقدموا لها تفسيرات من خلال مؤلفاتهم ورسائلهم، وقد فوجئ المجتمع المصرى ما بين الحين والحين-خلال تلك الفترة- بمرض الطاعون الذى كان يولد انتشاره فزعاً ورعباً يجتاح المصريين على اختلاف طبقاتهم، وقد صاحب ظهور الطواعين الكثير من العادات الاجتماعية، وفى هذه الدراسة نتتبع أهم الطواعين التى ظهرت فى مصر في تلك الفترة، مع ذكر العادات المصاحبة لها، سواء كانت عادات للسلاطين والوزاء و الأمراء والأعيان، أو العادات عند الفقهاء والعلماء، وكذلك العادات المصاحبة التى ظهرت لدى عامة المصريين، وهذا ما دفعنى لاختيار هذا الموضوع، وهو تسليط الضوء على عادات المجتمع المصرى على اختلاف طبقاته عند انتشار هذا المرض، فقد ركزت الدراسات السابقة على تتبع انتشار مرض الطاعون وفترات تراجعه وانكساره، دون ذكر العادات المصاحبة لانتشاره.

هذا وقد قسمت هذه الدراسة إلى: مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة ثم قائمة بأهم المصادر والمراجع، وذلك على النحو التالى:

مقدمة : أوضح فيها الهدف من اختيار موضوع البحث.

وثلاثة مباحث .

وتناولت فى **المبحث الأول**: التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة ، ثم تناولت التعريف العلمى للمرض.

والمبحث الثانى: تحدثت فيه عن الطواعين التى ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية والعادات المصاحبة لها.

ثم تحدثت فى **المبحث الثالث** : عن الطواعين التى ظهرت في مصر في عصر دولة المماليك البرجية.

وقد تتبعت في ذلك أحداث ظهور وانتشار مرض الطاعون، مع ذكر العادات المصاحبة لانتشاره فى المجتمع المصرى، سواء كانت تلك العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء والأعيان، أو لدى العلماء والفقهاء، وكذلك لدى عامة الشعب المصرى.

وختاماً....

فهذا جهدي - وهو جهد المقل- والخطأ والنسيان من طبيعة البشر، ولا كمال إلا لله وحده، فإن كنت قد وفقت فمن الله -عز وجل - وإن أخطأت فمن نفسي والشيطان، والله أسأل أن يمن علينا بالتوفيق والسداد، وأن يهدينا إلى طريق الهدى والرشاد، فإنه ولى ذلك والقادر عليه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

المبحث الأول

التعريف بمرض الطاعون في السنة النبوية الشريفة

أولاً: الطاعون في السنة النبوية الشريفة.

حذرنا الرسول صلى الله عليه وسلم من ارتكاب بعض المعاصى التى تسبب غضب الله عز وجل، وتكون سبباً مباشراً في إنزال العقوبات الإلهية على الإنسان وماله ودوابه، فعن أبى بكر رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما من قوم يُعمل فيهم بالمعاصى يقدرون على أن يغيروا، ثم لا يُغيروا إلا يُوشك أن يعمهم الله منه بعقاب.(١)

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال : كنت عاشر عشرة رهط من المهاجرين عند رسول الله، فأقبل علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم بوجهه فقال : " يا معشر المهاجرين، خمس خصال، وأعوذ بالله أن تدركوهن، ما ظهرت الفاحشة في قوم قط حتى أعلنوا بها، إلا ابتلوا بالطواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال والميزان إلا ابتلوا بالسنين وشدة المئونة وجور السلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا منعوا القطر من السماء،

---

(١) أبو داوود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتانى ت٢٧٥هـ/ ٨٨٨م): سنن أبى داوود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد المكتبة العصرية، صيدا ، بيروت ، د.ت ،كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي ، حديث رقم ٤٣٣٩ .الطبرانى(سليمان بن أحمد ابن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت٣٦٠هـ/٩٧١م): المعجم الكبير، تحقيق حمدي بن عبد المجيد السلفي ،مكتبة ابن تيمية ، القاهرة ، ٢ /٣٧٨.ابن حبان(محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ت ٣٥٤هـ/ ٩٦٥م): صحيح ابن حبان ، تحقيق محمد عبد المعيد خان ، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند ، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ ه / ١٩٧٣،رقم الحديث ١٨٣٩-٥٥٩٤.

ولولا البهائم لم يمطروا، ولا خفر قوم العهد إلا سلط عليهم عدوهم من غيرهم فأخذوا بعض ما في أيديهم، وما لم تعمل أئمتهم بما أنزل الله عز وجل ويتخيروا في كتاب الله عز وجل إلا جعل الله عز وجل بأسهم بينهم.(١)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الطاعون فقال كان عذابًا يبعثه الله على من كان قبلكم فجعله الله رحمة للمؤمنين، ما من عبد يكون في بلد فيكون فيه فيمكث لا يخرج صابراً محتسباً، يعلم أنه لا يصيبه إلا ما كتب الله له إلا كان له مثل أجر شهيد .(٢)

---

(١) ابن ماجة(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م): السنن،تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت، حديث رقم ٤٠١٩ ،ص٦٦٤.ابن أبي الدنيا (عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م): العقوبات ، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف ، دار ابن حزم سنة ، ١٤١٦ - ١٩٩٦ ، ص ٢٤-٢٥.

الحاكم(أبو عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت ٤٠٥هـ): المستدرك ، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا دار الكتب العلمية ، بيروت ،الطبعة الأولى، ١٤١١هـ / ١٩٩٠م ،ج ٤،ص ٥٨٢.

(٢) أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م): مسند الإمام أحمد ، دار إحياء التراث العربي ،١٤١٤هـ /١٩٩٣م ،حديث رقم ٢٣٨٣٧ . البيهقى (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦): السنن الكبرى ، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا ، دار الكتب العلمية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م، دار المعرفة ، كتاب الجنائز، باب الوباء يقع بأرض فلا يخرج ،حديث رقم ٦٤٢٤ .مسند الإمام أحمد ، دار إحياء التراث العربي ،١٤١٤هـ / ١٩٩٣م ،حديث رقم ٢٣٨٣٧ .

ثانياً: التعريف العلمى لمرض الطاعون:

تحدث الأطباء المسلمين عن مرض الطاعون، وحاولوا أن يجدوا له تعريفاً علمياً ويضعوا له العلاج، ومن هؤلاء الطبيب والفليسوف ابن سينا الذى حاول أن يقدم شرحاً لهذا المرض فى كتابه القانون، فيقول:" يُطلق الطاعون على كل مرض قتال لاستحالة مادته إلى جوهر سُميٍّ، يفسد العضو، ويغير لونه، وربما رشح دماً وصديداً، ثم يؤثر على القلب عن طريق الشرايين، فيحدث القئ والخفقان والغشى، وإذا اشتدت أعراضه قتل"(١). ويظهر فى جسم الإنسان فى أماكن الآباط والمرافق وخلف الأذن، أو فى الأيدى والأصابع، وأشدهم خطراً هو ما يظهر فى الآباط وخلف الأذن، كما أن مرض الطاعون يكثر فى البلاد الوبيئة التى يفسد فيها الهواء الذى لا يستطيع إنسان ولا حيوان العيش بدونه.(٢)

ومن الملاحظ اختلاط التسمية بين الطاعون والوباء، ولكن حقيقة الأمر أنه يوجد هناك فرق بين الطاعون والوباء، إذ إن الطاعون أخص من الوباء، فكل طاعون وباء، وليس العكس، ولما كان الوباء ينشأ عنه كثرة الموت، والطاعون كذلك، فأطلق عليه اسمه واختلطت التسمية.٣

---

(١) ابن سينا(أبوالحسين بن على بن سينا ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م): القانون في الطب ، تحقيق محمد أمين الضناوى،دار الكتب العلمية ، بيروت، لبنان ، الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م،ج٣ص١٦٤.
ابن حجر العسقلانى(أحمد بن على بن حجر العسقلانى ت ٨٥٢هـ/ ١٤٤٨م): بذل الماعون في فضل الطاعون،تحقيق أحمد عصام عبد القادر ،دار العاصمة الرياض،د.ت.ص٩٩.

(٢) ابن سينا: المصدرالسابق،ج٣،ص١٦٥.ابن حجر: المصدرالسابق،ص١٠٠.

(٣) ابن حجر: المصدرالسابق،ص١٠٤.

أما منظمة الصحة العالمية ووزارة الصحة، فُتعرف الطاعون بأنه مرض معدٍ يصيب الإنسان والحيوان تسببه جرثومة تعرف باسم "باليرسينيا الطاعونية "، وهذه الجرثومة تُوجد في الحيوانات القارضة أو البراغيث الموجودة عليها [١]، وقد حدثت أوبئة الطاعون عندما كانت هناك حالات من وصول براغيث القوارض البرية إلى القوارض الداجنة في حواف ومحيطات المدن، عند ذلك ينتشر المرض بسرعة بين القوارض الداجنة، ويقتل عدداً كبيراً منها [٢]، وعن طريق الجرذ الأسود الذي يعيش في البيوت الريفية والخشبية تنتقل البراغيث من الجرذان المصابة والميتة إلى الإنسان.[٣]

ثالثاً: أنواع مرض الطاعون:

ينقسم مرض الطاعون إلى ثلاثة أنواع تختلف طرق انتقالها وانتشارها من نوع إلى آخر.

١-الطاعون الدبلي (الدملي-الغددي):

هو أكثر الأنواع حدوثاً، ينتقل المرض بين القوارض كالفئران حيث ينتقل فيما بينها بواسطة البراغيث التي تسبب لها الوفاة، وعند حدوث الأوبئة تنتقل هذه البراغيث من أجسام القوارض الميتة، وتهاجم جسم الإنسان لتتغذى على دمه، وتُصبح معدية لعدة أشهر لاحقة [٤]

(١) جليل أبو الحب ،الحشرات الناقلة للأمراض ،عالم المعرفة ،الكويت، ١٩٨٢ م،ص٦٢.

(٢) جليل أبو الحب ،المرجع السابق،ص٦٣.

(٣) جليل أبو الحب :الحشرات الناقلة للأمراض،ص٦٣. علي علي المرسي ، أساسيات علم الحشرات، الطبعة الأولى، دار الفكر العربي،القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م،ص٤٥٥.

(٤) على على المرسى:المرجع السابق ،ص٤٥٥.

ومن الأعراض المميزة لهذا النوع إصـــابة المـــريض بـــالحمى والصـــداع وتورمات مؤلمة في الغدد الليمفاوية للفخذ والإبط أو الرقبة (١).

٢- الطاعون الرئوي:

أكثر أنواع الطاعون خطورة لسهولة انتقاله وانتشـــاره بـــين المخـــالطين للمريض خاصة في الظروف المناخية والبيئية غير الصحية، وهذا النوع قد ينتقل من إنسان لآخر عبر الهواء حين يستنشق ذرات هواء ملوثة بالجرثوم، وذلك عن طريق العطاس أو السعال أو البصاق، ومن الأعراض المميزة لهذا النوع إصـــابة المريض بالحمى والشعور بالبرد وصعوبة في التنفس وآلام في الصدر، وســـعال مصحوب ببصاق ملوث بالدم. (٢)

٣-الطاعون الدموي(التسممي-العفني) :

يحدث حينما يتكاثر الجرثوم داخل الدورة الدموية، وقد يكون ثانوياً للإصابة بالطاعون الرئوي أو الدبلي، وقد يحدث دون ارتباط بينهما، والطـــاعون العفنـــي لا ينتقل من إنسان لآخر، ومن الأعراض المميزة لهذا النوع، إصـــابة المـــريض بالحمى وهبوط حاد في القلب، وآلام في البطن، مع بقع من الدم تحت الجلد تشبه الكدمات.(٣)

---

(١) جليل أبو الحب:المرجع السابق،ص٦٣.على المرسى:المرجع السابق،ص٤٥٥.

(٢) جليل أبو الحب: الحشرات الناقلة للأمراض ،ص٦٣.على المرسى: أساسيات علم الحشرات ،ص٤٥٥.

(٣) جليل أبو الحب:المرجع السابق،ص٦٣.على المرسى:المرجع السابق،ص٤٥٥.

المبحث الثاني

الطواعين التي ظهرت في مصر في عصر المماليك البحرية والعادات المصاحبة لها

خضعت مصر لحكم دولة المماليك البحرية فى الفترة بين (٦٤٨-٧٨٤هـ/١٢٥٠-١٣٨٢م)، وقد تعرضت مصر خلال تلك الفترة لانتشار مرض الطاعون والأوبئة مرات عديدة، ونستعرض ذلك فيما يلى:

تعرضت مصر لانتشار الوباء في سنة(٦٧٢ هـ/ ١٢٧٣ م)، وهلك فيه عدد كبير من الناس وخاصة الأطفال والنساء. إلا أن المصادر لم تقدم لنا معلومات وافية حول هذا الوباء.(١)

---

(١) ابن دقماق(صارم الدين إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائي ت ٨٠٩/١٤٠٦م): النفحة المسكية في الدولة التركية من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري،الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٩٩م م،ص ٦٣.المقريزي(تقى الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدى المقريزى ت ٨٤٥هـ/١٤٤١م): السلوك لمعرفة دول الملوك ، تحقيق محمد عبد القادر عطا ،دار الكتب العلمية، بيروت ،لبنان، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م السلوك، ج٢،ص ٨٧.العيني(بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م): عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧-١٩٨٨م ،ج٢ ص١٢٠.

وفي سنة(٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م) حدثت مجاعة ورافقها انتشار الوباء، واستمرت هذه المجاعة والوباء إلى سنة (٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م).[١] ولعل من أهم أسبابه الرئيسية انتشار الجثث الملقاة في الشوارع، وتعفنها وبالتالي أدى ذلك إلى حدوث الوباء.

وبدأ هذا الوباء بالانتشار في شهر(ربيع الأول٦٩٤هـ/ ١٢٩٥ م)، ويصف المقريزي شدة فتك هذا الوباء بالأرواح بقوله:" ووقع في شهر ربيع الأول من هذه السنة بديار مصر كلها وباء، وعظم في القاهرة ومصر[٢]، وتزايد حتى كان يموت فيهما كل يوم ألوف، ويبقي الميت مطروحاً في الأزقة والشوارع ملقى في

---

(١) ج٢،ص ٣٧٠.الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان): تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: د.عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧ هـ / ١٩٨٧م، ج ٥٢ ،ص ٣٧-٤٢.

العيني:المصدر السابق ،ج ٣، ص ٢٧٥ . المقريزي،المصدر السابق،ج ٢،ص ٨٧.

(٢) مصر: يقصد بها هنا مدينة الفسطاط، وهي مدينة بناها عمرو بن العاص رضي الله عنه ، وجعلها معسكراً للعرب الذين فتحوا مصر، وبني فيها جامعه الذي ما زال قائما إلى اليوم وقد اتسعت حتى أصبحت حاضرة

مصر الإسلامية حتى أواسط القرن الثالث للهجرة، وقامت إلى جانبها مدينة القطائع الطولونية، ثم مدينة القاهرة التي طغت عليها، والفسطاط اليوم هو مدينة مصر القديمة التي تعتبر بعض أحياء القاهرة .

ياقوت الحموي(شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م): معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م،ج ٤،ص ٢٦١-٢٦٦ . الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م): الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤،ج ١،ص ٥٥٢.السيوطي(عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م): حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة، الطبعة الأولى،١٣٨٧هـ/١٩٦٨م،ج ١، ص ٧ .

الممرات والقوارع اليوم واليومين لا يوجد من يدفنه، لاشتغال الأصحاء بأمواتهم والسقماء بأمراضهم".[١]

وازدادت حدة الوباء في شهر (ذي الحجة ٦٩٤ هـ/ ١٢٩٥ م)، حيث قدرت بعض المصادر ضحاياه في هذا الشهر بنحو عشرين ألف شخص [٢]، وفي مستهل سنة (٦٩٥ هـ/ ١٢٩٦ م) ازدادت حدة الوباء بشكل كبير جداً، وأُحصت بعض المصادر من مات في شهر (صفر ٦٩٥ هـ/١٢٩٥ م) بأكثر من مائة وعشرين ألف شخص [٣]، وقد وصف المقريزي ازدياد حدة هذا الوباء بقوله:" وتزايد الوباء بحيث كان يخرج من كل باب من أبواب القاهرة في كل يوم ما يزيد على سبعمائة ميت، ويغسل في الميضأة من الغرباء الطرحاء في كل يوم نحو المائة والخمسين ميتاً،

ولا يكاد يوجد باب أحد من المستورين بالقاهرة ومصر إلا ويصبح على بابه عدة أموات قد طرحوا حتى يكفنهم، فيشتغل نهاره، ثم تزايد الأمر فصارت الأموات تدفن بغير غسل ولا كفن، فإنه يدفن الواحد في ثوب ثم ساعة ما يوضع في

---

(١) المقريزى: السلوك،ج ٢،ص ٢٦١.

(٢) الذهبي:تاريخ الإسلام،ج ٥٢ ،ص ٣٧.ابن كثير (إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)

البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت ، لبنان،الطبعة السابعة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م ،ج ١٣ ،ص ٤٠١. المقريزي: المصدر السابق،ج ٢،ص ٢٦٢ العيني:عقد الجمان،ج ٣، ص ٢٧٦.

(٣) ابن الجزري (محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي أبو عبد الله): تاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا،بيروت، لبنان، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م ،ج ١، ص ٢٨٢. الذهبي: المصدر السابق،ج ٥٢ ، ص. ٤٠.المقريزي: المصدر السابق،ج ٢،ص٢٦٨.

حفرته يؤخذ ثوبه حتى يلبس لميت آخر، فيكفن في الثوب الواحد عدة أموات، وعجز الناس عن مواراة الأموات في القبور لكثرتهم وقلة من يحفر لهم، فعملت حفائر كبار ألقيت فيها الأموات من الرجال والنساء والصبيان حتى تمتلئ الحفرة، ثم تُطم بالتراب، ورمي كثير من الأموات في الآبار حتى تُملأ ثم تُردم، ومات كثير من الناس بأطراف البلاد فبقي على الطرقات حتى أكلته الكلاب".[١] قد بدأت حدة هذا الوباء تخف في شهر (ربيع الأول ٦٩٥ هـ/١٢٩٦ م)، وارتفع بالكلية في شهر جمادى الثاني.[٢]

وفي سنة (٧٠٩ هـ/١٣٠٩ م) تفشى الوباء والأمراض الحادة في مصر [٣]، ولم تقدم المصادر معلومات كافية عن هذا الوباء أو الأمراض.

أما في سنة (٧١٦ هـ/ ١٣١٦ م) حدثت عاصفة شديدة فى صعيد مصر ضربت أسوان، وإسنا وأرمنت، وصاحب هذه العاصفة حدوث حريق في المناطق الزراعية، وأعقب ذلك انتشر الوباء في المنطقة مما أدى إلى هلاك أعداد كبيرة من السكان، وانتشر الوباء إلى الأشمونين.[٤]

---

(١) المقريزى: السلوك،ج ٢،ص ٢٦٧، ٢٦٨.

(٢) اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م): مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، د.ت،ج ٢، ص ٢٢٩.ابن كثير: البداية والنهاية،ج ١٣ ،ص٤٠٥.الذهبي: تاريخ الإسلام،ج ٥٢ ،ص٤٠-٤ . السيوطي: حسن المحاضرة ،ج ١ ، ص ٣١٤.

(٣) المقريزي: المصدر السابق،ج ٢،ص ٤٣

(٤) المقريزي :المصدر السابق، ج ٢،ص ٥

وكما انتشرت الأمراض الكثيرة في مصر فى سنة(٧٢٠ هـ/١٣٢٠م)[١]، وكذلك سنة (٧٢٧ هـ/ ١٣٢٧ م) [٢]، وأيضاً لم تقدم المصادر معلومات كافية عن هذه الأمراض. وفي سنة (٧٣١ هـ/ ١٣٣٠ م) انتشر الوباء بمصر، ووصفه ابن أيبك بأنه كان يسيراً[٣].

ومن خلال ما سبق يتبين أن مصر قد تعرضت فى الفترة من(٦٧٢-٧٢٧ هـ/ ١٢٧٣- ١٣٢٦م) إلى ثمانية طواعين، وقد اختلفت فى قوتها وانتشارها، كما يتبين أن الطاعون الذى وقع فى سنة (٦٩٤ هـ/١٢٩٤م)، والذى استمر حوالى عام، كان هو الأكثر قوة وخطراً، ولم ينته إلا بعد أن حصد أرواح آلاف المصريين.

الطاعون العالمى طاعون سنة ٧٤٩هـ/١٣٤٨م:

انتشر الوباء العظيم الذي شمل كل أنحاء العالم تقريباً، وذلك سنة (٧٤٩هـ/ ١٣٤٨ م)، وقد ورد ذكره فى بعض المصادر بالعديد من الأسماء، منها "الوباء الكبير" أو" سنة الفناء"، كما وصفه آخرون بقولهم " الوباء الذى لم يُعهد مثله " [٤]، وقد استمر هذا الوباء إلى بداية سنة (٧٥٠ هـ/ ١٣٤٩ م).

(١) السيوطي: المصدر السابق، ج ١ ، ص ٣١٥

(٢) ابن الجزري: تاريخ ابن الجزرى،ج ٢،ص ١٧٦. المقريزي: المصدر السابق،ج ٣، ص ٩٥.

(٣) ابن أيبك (أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدوداري ت ٧١٣هـ/ ١٣١٣م): كنز الدرر نشر وتحقيق قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة، د.ت ،ج٩،ص ٣٥.

(٤) المقريزى: السلوك ،ج٤،ص٨٠. ابن شاهين الظاهرى(زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى ت ٩٢٠هـ/١٥١٤م): نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدّمرى المكتبة العصرية ،صيدا، بيروت، الطبعة الأولى ،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م،ج١،ص١٧٧.ابن إياس(محمد ابن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م): بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م،ج١،قسم ١،ص٥٢٨.

وكان هذا الطاعون قد انتشر فى معظم أنحاء العالم، فتنقل ما بين بلاد القرم والصين والهند، و بلاد الفرنج والأندلس وبغداد، وقبرص، وغزة، ثم تواصلت الأخبار بوقوعه فى أطراف مصر وابتدأ مع فصل الخريف من عام ٧٤٨هـ/١٣٤٧م، وأخذ فى الانتشار مع شهر المحرم ٧٤٩هـ /١٣٤٨م[١]، كما انتشر الطاعون فى الوجه البحرى، وكثر عدد القتلى فى مدينة الإسكندرية، ووصل إلى السبعمائة فى اليوم الواحد، وأغلقت الأسواق لقلة وجود الناس، وكذلك دار الطراز لعدم وجود الصناع، كما أغلقت دار الوكالة لعدم الوارد إليها.[٢] واستمر انتشار المرض فى مدن الوجه البحرى فى دمنهور، والمحلة، والبرلس، ونستراوة [٣]، ودمياط، وتعطلت أعمال الصيد لموت الصيادين، ويصف المقريزى ما تعرض له الصياديين فى مدينة دمياط فيقول:" مات العباد فيها والشباك بأيديهم مملوءة سمكاً ميتاً، فكان يوجد فى السمكة كبة ".[٤]

أما فى الأقاليم الزراعية كالشرقية وغيرها عجز الأهالى عن ضم الزرع، وقد حان وقت حصاده ، واضطر الجنود والغلمان من المماليك الخروج لجمع الحصاد بأنفسهم لموت الكثير من الفلاحين، وامتلأت الطرقات والأسواق بالموتى

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية،ج١٤،ص٢٢٥-٢٢٦.المقريزى: المصدر السابق ،ج٤،ص٨١-٨٣.ابن تغرى بردى(جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتابكى ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م): النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية،د.ت.ج١٠،ص١٩٥-١٩٨.

(٢) المقريزى: المصدر السابق ، ج٤،ص٨٤.

(٣) نستراوة أو نسترو بالفتح ثم السكون والراء مضمومة، وهى جزيرة بين دمياط والإسكندرية .ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٥،ص٢٨٤.

(٤) المقريزى: المصدر السابق ،ج٤،ص٨٥.

ولم يجدوا من يدفنهم، وانتشرت الجيف فى تلك الأماكن، مما أدى إلى انتقال الكثير من الأحياء إلى القاهرة فراراً من الموت[١].

وقد أخذ الطاعون فى الانتشار خلال شهرى شعبان ورمضان سنة٧٤٩هـ/١٣٤٨م وتزايدت أعداد القتلى التى تراوحت -بحسب المصادر -ما بين عشرة آلاف إلى عشرين ألفاً فى كل يوم.[٢] ومع بداية شهر شوال تضاعفت أعداد الموتى بين المصريين، سواء من العامة بالشوارع والأسواق، أو من المماليك السلطانية بالقلعة. [٣]

واستمر خطر الطاعون فى تزايد فى شهر ذى القعدة، وتزايدت أعداد القتلى من الناس، وصارت "النعوش لكثرتها تصطدم، والأموات تختلط "[٤] وامتلأ مسجد الحاكم بأمر الله عن آخره بنعوش الموتى للصلاة عليهم؛ ونظراً لذلك وقف الأهالى خارج المسجد لإقامة الصلاة [٥].

---

(١) المقريزى: السلوك،ج٤،ص٨٥ .ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٠٩،٢٠٣.

(٢) ابن دقماق: الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والخلفاء والأساطين ،تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى،مركز البحث العلمى وإحياء التراث ١٩٨٢،ص٣٨٧. ابن تغرى بردى:المصدر السابق،ج١٠،ص١٩٥. السخاوى(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م): وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة ، د.ت.ج١،ص٣٤. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل،ج١،ص١٧١.

(٣) ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٦.

(٤) المقريزى: المصدر السابق،ج٤، ص٨٧.

(٥) المقريزى: المصدرنفسه ،ج٤،ص٨٧.ابن تغري بردى: المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٦.

كما امتد هـذا الوبـاء ليشـمل جميـع أقـاليم الصـعيد [(١)]، وقـدرت بعض المصادر أعـداد المـوتى بحـوالى تسـعمائة ألـف.[(٢)] وبـدأ الطـاعون بالتناقص مع بداية شهر ذى القعـدة، وتناقصـت أعـداد المـوتى يومـاً بعـد يوم، حتى زال الوباء وارتفـع بعـد مقتـل الآف المصـريين، مـنهم العلمـاء والمشاهير والأعيان.[(٣)]، ونذكر من هؤلاء الشيخ الصـوفى عبـد الله المنـوفى المـالكى [(٤)]،والشـيخ محمـود بـن عبـد الـرحمن الهمـذانى الشـافعى [(٥)]،

(١) المقريزى: السلوك ،ج٤،ص٨٨. ابن تغري بردى: النجوم الزاهرة ،ج١٠،ص٢٠٩.

(٢) يبدو أن هذا العدد مبالغ فيه ولكن مما لا شك فيه ان أعداد الموتى كانت كثيرة وقد تكـون حوالى تسعين ألف .

(٣) ابن تغري بردى:المصدر السابق ،ج١٠،ص١٩٥.ابـن شـاهين الظـاهرى: نيـل الأمـل ج١،ص١٧٧.

(٤) عبد الله محمد بن سليمان المنوفى المالكى،ولد ٦٧٦ هـ /١٢٧٧م ببلاد المغرب واسـتقر في مصر، وهو أحد العلماء المتصوفة ،وقد تميز في علوم عديدة منها اللغـة العربيـة ، والفقه ، والتفسير، والتصوف، وذكرت عنه العديد من الكرامات ، دفن في مصر وكان قبره مقصداً للزائرين. ابن شاهين الظاهرى:المصدر السابق، ج١،ص ١٧٤.ابـن إياس:بـدائع الزهور،ج٢،ص٥٢٨.

(٥) محمود بن عبد الرحمن بن أحمد بن محمد بن بكر بن على الهمذانى الشافعى، ولـد سـنة ٦٧٤هـ/١٢٧٥م في همذان ، ثم رحل من بلاده لآداء فريضة الحج واستقر في القاهرة ، بنى له قوصون خانقاة وعُين شيخاً عليها ، وكان عالماً فاضلاً، وله العديد من المؤلفات ، منها "شرح مختصر ابن الحاجب"، و"شرح الطوالع والطالع" ،وغير ذلك مـن المؤلفـات. المقريزى:المصدر السابق،ج٩٦،٤. ابن شاهين الظاهرى:المصدر السـابق،ج١،ص١٧٤. ابن إياس:المصدر السابق،ج١،قسم ١،ص٥٢٨.

والطبيب محمد االأكفانى [١]، وغيرهم الكثير من العامة، وأهل العلم والمشاهير والأعيان من أهل مصر[٢].

أماعن العادات الاجتماعية التى صاحبت ظهور هذا الطاعون و نقسمها إلى:-

-العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء:

- فقد ظهرت بعض العادات لدى السلطان والأمراء والوزراء، ومنها الابتعاد عن مكان الطاعون، والانتقال إلى مكان آخر قد يكون أكثر أمناً وخالياً من الوباء، وهذا ما قام به السلطان الناصر حسن بن محمد بن قلاون(٧٤٨-٧٦٢هـ/١٣٤٧-١٣٦٠م) [٣] والأمراء والوزراء عندما توجهوا إلى مدينة سرياقوس [٤]، واستقبلوا فيها شهر رمضان.[٥]

---

(١) الطبيب شمس الدين محمد الأكفانى الطبيب والحكيم المعروف ، وله العديد من المؤلفات في الطب . المقريزى:المصدر السابق،ج٩٦،٤.ابن شاهين الظاهرى:المصدر السابق،ج١،ص١٧٤.

(٢) المقريزى:المصدر السابق،ج٤،ص٩٣-٩٩.ابن شاهين الظاهرى:المصدر السابق،ج١،ص١٧٨. ابن إياس:المصدر السابق،ج١،قسم ١،ص٥٣٣.

(٣) السلطان الناصر محمد بن المنصور قلاون، ولد سنة ٧٣٦هـ/١٣٣٦م، وهو السلطان التاسع عشر من سلاطين المماليك ، بويع بالسلطنة بعد مقتل أخيه المظفر حاجى، ويقال أنه كان عمره حوالى ثلاثة عشر عاماً وأقيمت العديد من الإنشاءات فى عصره، منها المدرسة المعظمية القريبة من القلعة، وقتل فى جمادى الأول سنة٧٦٢هـ/١٣٦٠م.ابن دقماق: الجوهر الثمين،ص٣٨٦، ٣٨٧. السخاوى: الذيل ،ج١،ص٣٠-٣١.
ابن إياس:بدائع الزهور،ج١،قسم١،ص٥١٩.

(٤) سرياقوس: بلدة صغيرة ضواحى القاهرة. ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٣،ص٢١٨.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٠٤.ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل،ج١،ص١٧١.

- زهد أصحاب الأموال من الأمراء والوزراء فى أموالهم، وشعروا بدنو آجالهم ورغبوا فى عمل الخير وتوزيع الأموال على الفقراء فى أنحاء عديدة من قرى مصر، وهو ما قام به الوزير منجك عندما أرسل كريم الدين مستوفى الدولة، ومحمد بن يوسف مقدم الدولة على رأس جماعة من أعوانه وأعطاهم الكثير من الأموال وطلب منهم التصدق بها على الفقراء بقرى مصر " ففعلوا ولم يعودوا إلا بالقليل من المال". (١)

-بسبب كثرة أعداد الموتى من المصريين أشرف عدد من الأمراء والوزراء بأنفسهم على تجهيز الموتى، كتغسيل الموتى، وتجهيز المقابر وغير ذلك من أعمال الدفن. (٢)

- أصدرت الأوامر السلطانية بتخصيص جماعات من المتطوعة للإسراع فى تجهيز الموتى وتكفينهم، وتخصيص مجموعات أخرى للصلاة عليهم بالمساجد والزوايا. (٣)

-حرص بعض الوزراء والأمراء على مشاركة العامة فى التجمعات للدعاء والتضرع إلى الله لرفع الوباء، وهذا ما قام به الأمير شيخون، والوزير منجك اليوسفى، ومعهم العديد من الأمراء. (٤)

-حرص الأمراء والوزراء على المصلحة العامة للمصريين، وأن تُدبر احتياجاتهم المعيشية دون ارتفاع فى الأسعار، ولذلك أُصدرت الأوامر بوجوب عودة الصناع

---

(١) المقريزى:السلوك،ج٤،ص٨٤.

(٢) المقريزى:المصدر السابق،ج٤،ص٨٨. ابن تغرى بردى:المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٩

(٣) المقريزى: السلوك،ج٤،ص٨٨. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢٠٩.

(٤) ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٥.

وأرباب الحرف والعمال إلى أعمالهم، ومن لم يلتزم منهم وجهت له العقوبة الرادعة [١].

-عادات العلماء والفقهاء :

حرص علماء مصر وفقهاؤها على تحمل المسئولية وتوجيه عامة الناس إلى ضرورة الدعاء إلى الله والتضرع إليه لرفع هذا الوباء، وقد اتجه العامة للعلماء فى المساجد الكبرى كالأزهر وغيره من المساجد لقراءة القرآن، وقراءة السنن كالبخارى وغيره، كما تمسك الشيوخ والعلماء بالقنوت والدعاء فى جميع الصلوات لرفع الوباء. [٢]

- **العادات المصاحبة لطاعون ٧٤٩هـ /١٣٤٨م لدى العامة** :

من العادات المصاحبة لطاعون٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م لدى عامة المصريين، إقبال القادرين منهم على أعمال الخير للمساعدة فى تجهيز الموتى ودفنهم، ومن ذلك إعداد التوابيت والدكك، وتوزيعها بدون بمقابل كصدقات للأهالي.[٣]

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٤،ص٩٠.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٤،ص٨٦. ابن تغرى بردى ،المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٤- ٢٠٥. السخاوى:الذيل،ج١،ص٣٥.ابن إياس: بدائع الزهور،ج١،قسم ١،ص٥٣١.

(٣) المقريزى: السلوك ،ج٤،ص٨١. ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة، ج١٠،ص١٩٥.

- تحول الكثير من الصناع عن صناعتهم وأعمالهم وتوجهوا إلى العمل كمقرئين فى الجنائز، كما اشتغل البعض منهم فى تجهيز الموتى من أعمال التغسيل والتكفين وتجهيز المقابر لدفن الموتى. (١)

- ومن العادات السيئة التى صاحبت هذا الطاعون استيلاء كثير من العامة على ممتلكات وأموال بغير حق وذلك بعد موت مستحقيها الشرعيين، سواء كانوا من عامة الشعب أو من أصحاب الإقطاعات.(٢)

- سادت حالة عامة من الحزن والجزع بين المصريين، وانخفضت الروح المعنوية لديهم؛ بسبب موت الأهل والأحبة، وتوقفت الاحتفالات العامة أو الأعراس، وأبطلت الأغاني، واستمر ذلك الوضع حتى انتهاء الوباء.(٣)

- انخفاض أسعار السلع فى الأسواق، فبيعت أحمال من الكتب بأرخص الأسعار، كما انخفضت أسعار الذهب والفضة، وذلك لانشغال المصريين بالطاعون وانتشار الموت فى كل مكان.(٤)

- وكذلك من العادات التى ظهرت فى المجتمع المصرى أثناء ظهور هذا الطاعون ارتفاع أجور ورواتب أصحاب الأعمال والصناعات، وذلك بسبب قلة عدد المشتغلين بتلك الأعمال، فمثلاً ارتفع سعر راوية الماء إلى ثمانية دراهم لقلة من يحملونها من الرجال والجمال، وكذلك ارتفع راتب الشخص الذى يقود الخيل من

---

(١) ابن دقماق: الجوهر الثمين،ص٣٨٨. المقريزى: المصدر السابق،ج٤،ص٨٧. ابن تغرى بردى :المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٨.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق ،ج١٠،ص٢٠٨.

(٣) المقريزى:المصدر السابق،ج٤،ص٨٧- ٨٨. ابن تغرى بردى:المصدر السابق،ج١٠،ص٢٠٦.

(٤) المقريزى: السلوك،ج٤،ص٩٠. ابن تغرى بردى :النجوم الزاهرة،ج١٠،ص٢١٠.

ثلاثين إلى ثمانين درهماَ، كما ارتفعت أجرة طحن الأردب الواحد من القمح، فصارت خمسة عشر درهمًا، وذلك لقلة العمال. (١)

ومما سبق اتضح تعرض مصر فى عصر المماليك البحرية للعديد من الأوبئة والطواعين كما تم عرضها فيما سبق، مع ذكر العادات المصاحبة لها.

---

(١) ابن دقماق: الجوهر الثمين،ص٣٨٨. المقريزى: المصدر السابق،ج٤،ص٩٠.السخاوى: الذيل،ج١، ص٣٤-٣٥.

المبحث الثالث

الطواعين فى مصر فى عصر المماليك البرجية والعادات المصاحبة لها

-طاعون ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م فى مصر والعادات المصاحبه له:

مع بداية شهر صفر من هذه السنة ظهر مرض الطاعون فى أقاليم مصر كالشرقية والغربية، وما لبث أن دخل إلى مدينة القاهرة، وازدادت حدة الوباء فى شهر ربيع الأول وكان أكثر من يموت من الأطفال والشباب، وأحصى من مات بحوالى خمسين شخصاً، وبلغت عدة من مات فى بلبيس ألف شخص، وفى بردين [١]خمسمائة، وكثر العدد فى ديروط فبلغ ثلاثة آلاف شخص [٢] .

وفى شهر ربيع الثانى اشتد انتشار الوباء، ووصل عدد الموتى فى مدينة القاهرة إلى حوالى ثلاثمائة شخصٍ فى اليوم، فكانت تظهر عليهم أعراض المرض ومنها ظهور حبة الموت التى يقال لها "الكبة"، ومن ثم سرعان ما يأتيه الموت خلال ساعات، وقليل من استمر بالمرض لمدة ثلاثة أيام، وأُحصِيَ من مات فى مدينة القاهرة فى الفترة ما بين (٢٠صفر حتى نهاية شهر ربيع الثانى) بسبعة آلاف وستمائة وإثنين وخمسين شخصاً، هذا بخلاف من لم يشملهم الإحصاء، ويقدر المقريزى جميع هؤلاء بحوالى عشرة آلاف شخصٍ، وانتشر الخوف بين عامة المصريين، وبلغ عدد الموتى يومياً ما بين عشرين إلى ثلاثين شخصاً. [٣]

---

(١) لم أجدها في المعاجم الجغرافية ، ويبدوا انها إحدى قرى الحوف الشرقى.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩١، ٤٩٥. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص٤٣. السخاوى: المصدر السابق،ج٢، ص٤٥٦.السيوطى: حسن المحاضرة،ج٢،ص٣٠٩.

(٣) المقريزى: السلوك،ج٦، ص٤٩٣. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل،ج٤،ص٣٣.

وقد سجل لنا المقريزي بشكل تفصيلي نِسب الضحايا من الرجال والنساء والأطفال والعبيد والإماء واليهود والنصارى، ويقول: "وكان عدة من مات بالقاهرة وورد اسمه إلى الديوان من العشرين من صفر إلى سلخ شهر ربيع الآخر سبعة آلاف وستمائة واثنين وخمسين: الرجال ألف وخمسة وستون رجلاً، والنساء ستمائة وتسع وستون امرأة، والصغار ثلاثة آلاف وتسعمائة وتسعة وستون صغيراً، والعبيد خمسمائة وأربعة وأربعون، والإماء ألف وثلاثمائة وتسع وستون، والنصارى تسعة وستون، واليهود اثنان وثلاثون، وذلك سوى المارستان، وديوان مصر، و من يرد اسمه إلى الديوانين، ولا يقل ذلك عن تتمة العشرة آلاف، ومات بقُرى الشرقية والغربية مثل ذلك وأزيد". [(١)] وفي شهر جمادى الأولى بدأ الطاعون بالتناقص، فقد بلغ عدد الموتى يومياً حوالي سبعة وسبعين شخصاً، وفي شهر ذو القعدة يموت نحو ثلاثين شخصاً يومياً إلى أن ارتفع بالكلية في نهاية الشهر.[(٢)]

العادات الاجتماعية التى صاحبت ظهور هذا الطاعون فى مصر:

- العادات عند السلطان والأمراء والوزراء:

- أصدر السلطان المؤيد شيخ الظاهرى(٨١٥- ٨٢٤هـ/١٤١٢- ١٢٢١م)[(٣)] الأوامر للمحتسب ووالى القاهرة بتتبع الفساد فى العديد من الأماكن، ومن ذلك

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٦ص٤٩٥.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٧،ص٤٩٧.

(٣) المؤيد شيخ بن عبد الله المحمودى الظاهرى، وهو السلطان الرابع من المماليك الجراكسة، بويع في شعبان ٨١٥هـ/ ١٤١٢م، وأصله من مماليك الظاهر برقوق وأعتقه ، وتدرج في المناصب حتى صار نائب الوالى في حلب، واستمر على حكم مصر مدة ثماني سنوات، وله العديد من المنشآت في مصر، منها المدرسة المؤيدية وكانت وفاته سنة٨٢٤هـ/١٢٢١م. ابن شاهين الظاهرى: نزهة الأساطين،ص١٢٦، ١٢٧.

ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص٤،٣.

النزول إلى أماكن اللهو والتخلص من أعداد كثيرة من جرار الخمر وكسرها. (١)

- منع النساء من النياحة على الأموات، وذلك لما فيه من المخالفة لتعاليم الإسلام.(٢)

- كما منُعت المواد المخدرة مثل مادة الحشيش، وغيرها من المواد التى تذهب العقل.(٣)

- منعت مظاهر الفاحشة التي كانت تمارسها بعض النساء الساقطات من البغايا فى الأسواق وأماكن الريبة.(٤)

- إلزام اليهود والنصارى بتنفيذ ما اُمروا به فيما يخص ملابسهم، وذلك بتضيق الأكمام الواسعة، وتصغير العمائم، والتزام نسائهم بالإزار المصبوغ باللون الأصفر لليهودية والأزرق للنصرانية. (٥)

- تبيه عامة المصريين بوجوب الصيام ثلاثة أيام، على أن يكون اليوم الأول هو يوم الخميس الخامس عشر من ربيع الثاني، ثم الخروج إلى الصحراء مع

---

(١) المقريزى: السلوك،ج٦،ص٤٩٥.ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٤،ص٣٦.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٣٦.

(٣) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٣٦.

(٤) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٥. ابن حجرالعسقلانى(أبوالفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكناني ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م): إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة المجلس الأعلى للشؤن الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي ،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م،ج٣،ص١٩٥.ابن شاهين الظاهرى:المصدر السابق، ج٤،ص٣٦.

(٥) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٥. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٤،ص٣٦. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٨١- ٨٤.

السلطان للدعاء إلى الله في هذا اليوم، وفي اليوم المذكور خرج السلطان، ومعه العلماء والقضاة وعامة الناس إلى الصحراء. [١]

- شارك السلطان العامة الدعاء والتضرع والبكاء إلى الله لرفع هذا الوباء، كما قام بذبح مجموعة من المواشي والضأن، مع توزيع كميات كبيرة من الخبز، تقرباً إلى الله، وزعت على الفقراء ومشايخ الزوايا والخوانق وعلى المساجد الكبيرة المساجين وعامة الفقراء فى مصر.[٢]

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٢٢هـ/ ١٤١٩م عند العلماء والفقهاء:

- كان من العادات لدى العلماء والفقهاء عند ظهور هذا الطاعون هو الحرص على تنفيذ الأوامر السلطانية، والاجتماع بالعامة لقراءة القرآن، والدعاء والتضرع إلى الله.[٣]

- وقد كانت مسألة الدعاء إلى الله تعالى والتضرع إليه برفع الوباء محل خلاف بين العلماء في مصر في تلك الفترة، ووجد بينهم من كان يدعو إلى التخلى عن هذه العادة بدعوى أنها من البدع وتتنافى مع ما جاءت به السنة النبوية، إذ لم يؤثر عن النبى ﷺ ولا الصحابة رضوان الله عليهم أن تجمعوا للدعاء برفع الوباء، بينما اختار الشيخ ولى الدين البكرى خلاف ذلك، فأجاز الدعاء برفع الوباء، ولكنه رأى ألا يُجتمع له بالناس مثل الحال عند الاستسقاء.[٤]

---

(١) المقريزى: السلوك،ج٦ص٤٩٥، ٤٩٦. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص٤٦. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٤،ص٣٧.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٦- ٤٩٧. ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص٤٦. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٣٧.

(٣) المقريزى: المصدر السابق،ج٦،ص٤٩٧.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص٤٦. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٧٨.

- العادات المصاحبة للعامة في طاعون ٨٢٢هـ/١٤١٩م:

– ساد المجتمع المصرى حالة من الخوف والفزع لانتشار الموت بين الناس، ولم يعد الموت بعيداً عن أحد، فأقدم الجميع على التوبة والعمل الصالح.(١)

– استجابة الأهالي لدعوة المحتسب بالصيام ثلاثة أيام، ثم الخروج مع السلطان المؤيد شيخ إلى الصحراء للدعاء والتضرع إلى الله لكشف الضر ورفع الوباء (٢).

٢- الطاعون الذى اجتاح مصر عام ٨٣٣هـ/ ١٤٢٩م و العادات المصاحبة له:-

وفي سنة (٨٣٣ هـ/ ١٤٢٩ م) تفشى طاعون عظيم اجتاح مصر بعد دخوله الشام، وكان في وقت لم يعهد فيه من قبل وقوع الوباء، إذ كان من المعتاد وقوعه في فصل الربيع (٣)، وقد ابتدأ هذا الطاعون بالتفشي في مصر منذ أواخر شهر صفر ٨٣٣ هـ/١٤٢٩م، و ظهر فى الوجه البحري، وازدادت حدته في شهر ربيع الثاني، حيث خلف أعداداً كبيرة من الموتى، ففي الإسكندرية أُحصي أعداد الموتى يومياً فبلغ مائة وخمسين شخصاً (٤)، وفي المحلة مات فيها زيادة على خمسة آلاف شخص(٥).

---

(١) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ،ج١٤،ص٣٤٢- ٣٤٣.

(٢) المقريزى: السلوك ،ج٦ص٤٩٥، ٤٩٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٧٨.
ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص٤٣. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ج٤،ص٣٧.

(٣) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٤. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤،ص٣٣٧-٣٣٨.
السيوطى : حسن المحاضرة،ج٢، ص٣٠٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٢،ص١٢٨-١٢٩.

(٥) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٣. ابن إياس: المصدر السابق ،ج٢،ص١٢٨.

وأحصي من مات في مدينة صا بحوالي ستمائة شخص [١]، وكان عدد من مات في النحريرية قد بلغ تسعة آلاف شخص [٢] ، وتفشى هذا الطاعون في مدينة القاهرة في مستهل شهر ربيع الثاني، حيث بلغ عدد الموتى يومياً اثني عشر شخصاً، وازداد العدد حتى وصل في آخر الشهر إلى حوالي خمسين شخصاً [٣] ، وكان إجمالي عدد الموتى في هذا الشهر أربعمائة وسبعة وسبعين شخصاً، وفي مستهل شهر جمادى الأولى الثاني بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة المائة يومياً [٤]، ثم ازداد العدد إلى ثلاثمائة شخص يومياً وفي مدينة الفسطاط بلغ عدد الموتى يومياً المائتين، وكان أكثر الضحايا من الأطفال والشباب ثم العبيد.[٥]

وفي مدينة سرياقوس بلغ عدد الموتى نحو المائتين، وفي المنوفية، والقليبوية وصل العدد إلى ستمائة شخص، وازدادت حدة الوباء وفتكه بالأرواح في شهر جمادى الثاني؛ إذ بلغ عدد الموتى في اليوم الرابع منه في مدينة القاهرة إلى ألف ومائتي شخص [٦]، وفي الحادى عشر من جمادى الثاني بلغ عدد الموتى ألفين ومائتين وست وأربعين شخصاً، وازداد عدد الموتى إلى منتصف شهر جمادى الثاني حوالي خمسة عشر ألف شخص.[٧]

---

(١) المقريزى: السلوك ،ج٧ص٢٠٤.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٥. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٣٣٨. ابن حجر: إنباء الغمر،ج٣،ص٤٣٧.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ج٤،ص٢٦٧.

(٤) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٤.ابن حجر: المصدر السابق،ج٣،ص٤٣٧.

(٥) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٥. ابن حجر:المصدر السابق ،ج٣،ص٤٣٧.

(٦) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤،ص٣٣٩.

(٧) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٦-٢٠٧. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤،ص٣٣٩. ابن حجر: المصدر السابق ،ج٣،ص٤٣٧.

وقد وصف المؤرخون شدة فتك هذا الوباء بالأرواح في هذا الشهر، ومن ذلك ما سجله المقريزي بقوله: "وعجز الناس عن دفن أمواتهم، فصاروا يبيتــون بها في المقابر، والحفارون طول ليلتهم يحفرون، وعملوا حفائر كثيرة، تُلقى في الحفرة منها العدة الكثيرة من الأموات، وأكلت الكلاب كثيراً من أطراف الأمــوات، وصار الناس ليلهم كله يسعون في طلب الغسالين والحمالين والأكفــان، وتــرى نعوش الأموات في الشوارع كأنها قطارات الجمــال، لكثرتهــا والمــرور بهــا متواصلة بعضها في إثر بعض[1]، وخلت الكثير من البيوت فى العديد من حــارات القاهرة لموت سكانها" [2].

وقد بدأ الطاعون بالتناقص بالتدريج في بداية شهر رجب إلى أن ارتفــع بالكلية مع بداية شهر شعبان، وقدر العدد الإجمالي لضحايا هذا الوباء في مدينــة القاهرة فقط فبلغ حوالي مائة ألف نسمة، ومثل هذا العدد تقريباً في بقية المــدن المصرية [3]. وكان من المشاهير والأعيان الذين ماتوا نتيجة الطــاعون، نــذكر

---

(١) المقريزى: السلوك ،ج٧ص٢٠٧. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٣٤٣. ابــن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ج٤،ص٢٦٨-٢٦٩. ابن حجر: إنباء الغمر،ج٣،ص٤٣٨.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٣٣٩.

(٣) المقريــزى: المصــدر الســابق،ج٧ص٢٠٨ . ابــن تغــرى بــردى: المصــدر السابق،ج١٤،ص٣٤٣. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٢٨٣.

منهم ولى الدين محمد بن الدمياطى [١]، وشرف الدين أبو الطيب بن تاج الـدين عبد الوهاب [٢]، وغيرهما من الأعيان والمشهورين.

العادات الاجتماعية التى صاحبت ظهور طاعون ٨٣٣هـ/١٤٢٩م :

العادات عند السلطان والأمراء والوزراء نذكر منها ما يلى: ـ

- أمر السلطان الأشرف برسباى(٨٢٥-٨٤١هـ/١٤٢١-١٤٣٧م) [٣] المحتسب بأن يدعو الناس لصيام ثلاثة أيام، والتوبة إلى الله، والخروج إلى الصحراء للدعاء والتضرع إلى الله لرفع الوباء.[٤]

- اتجه السلطان إلى السادة الأشراف المقيمين في مصر، وتقرب إليهم ظناً منه أن هذا قد يرفع الوباء عن مصر، فأمر السلطان الشريف شهاب الدين أحمد بن

(١) تولى بيت المال والكسوة أيام الملك الناصر قلاون ، ومات وهو في الثمانين من عمره.المقريزى: السلوك ج٧،ص٢١٧.

(٢) ولد في الخامس والعشرين من ذى القعدة سنة سبع وسعين وسبعمائة، تولى وقف الأشراف، وكسوة الكعبة، ودار السكة والعملة، وحمدت سيرته في ذلك. المقريزى: المصدر السابق،ج٧،ص٢١٧.

(٣) الملك الأشرف سيف الدين أبى النصر برسباى الدقماقى الظاهرى، بويع بسلطنة مصر بعد خلع الملك الصالح محمد بن ططر، وهو السلطان الثامن من ملوك الجراكسة، وكان من مماليك الأمير دقماق نائب ملطية، ثم أعتقه وترقى في المناصب بالدولة حتى صار نائب حلب، ثم تولى السلطنة في مصر في ربيع الثانى ٨٢٥هـ/١٤٢١م، ومن أهم أعماله فتح جزيرة قبرص، وتوفى في ١٣ذى الحجة ٨٤هـ/١٤٣٧م، فكانت مدة حكمه ستة عشر سنة وتسعة أشهر. السخاوى: الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، دون سنة ج٣،ص٨- ١٠.ابن شاهين الظاهرى: نزهة الأساطين، ص١٣١، ١٣٢.ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،٨١، ٨٢.

(٤) المقريزى: السلوك،ج٧ص٢٠٤. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٣٣٨. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص١٢٨.

عدنان كاتب السر بأن يجمع أربعين شريفاً في الجامع الأزهر والدعاء مجتمعين برفع الوباء، فقام الشريف شهاب الدين بجمعهم وفرق عليهم خمسة آلاف درهم، وذلك يوم الجمعة فى الخامس عشر من جمادى الثاني، فقرأوا ما تيسر من القرآن الكريم بعد صلاة الجمعة، ثم اجتهدوا مع العامة بالدعاء حتى وقت أذان العصر.(١)

- أُصدرت الأوامر بتخصيص مجموعة من الكتبة لحصر أعداد الموتى وتسجيلها بالديوان.(٢)

- أُصدرت الأوامر بمنع النساء من الخروج إلى المقابر. (٣)

- طلب السلطان الفتيا من العلماء فى مشروعية الاجتماع للدعاء والقنوت فى الصلوات لرفع الوباء، وأجاز له العلماء ذلك. (٤)

- أُصدرت الأوامر بانتقال عدد من الأطباء والجراحين إلى الوجه القبلى لتقديم العون للمرضى، وذلك بعد انتشار الوباء بين مدنه المختلفة. (٥)

أما عن العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى العلماء والفقهاء، نذكر منها ما يلى:

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٨. ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٣٤٣. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٤،ص٢٧٢.

(٢) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٧ . ابن تغرى بردى: المصدر السابق ،ج١٤،ص٣٤١.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٤،ص٢٧٣.

(٤) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٢٧٣.

(٥) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٤،ص٣٤٤.

- وكان من العادات لدى العلماء والفقهاء عند ظهور الطاعون، هو الحرص على تنفيذ الأوامر السلطانية، وحضور مجالسه، والإجابة على ما يعرضه عليهم السلطان من فتاوى فيما يتعلق بأمر الطاعون أو غيره من المسائل الفقهية. (١)

- الإجتماع بالعامة لقراءة القرآن، والدعاء إلى الله لرفع الوباء.(٢)

العادات المصاحبة لدى العامة والأهالى نذكر منها ما يلى:

- أدى انتشار الطاعون في فئة الشباب إلى عودتهم إلى الله والتوبة وكثرة الاستغفار والتوجه للمساجد لإقامة الصلوات الخمس، أو للصلاة على الميت. (٣)

- تعطلت الأسواق وتوقفت حركة البيع والشراء لانشغال الناس بذويهم من المرضى والأموات.(٤)

- تزايد ازدحام الناس في طلب الأكفان والنعوش وصعوبة الحصول عليها، فاتجهوا إلى تكفينهم في ثيابهم.(٥)

- ارتفاع أسعار السلع التى يحتاج إليه المرضى لتخفيف حدة المرض، مثل السكر وبذر الرجلة والكمثرى، وغير ذلك من السلع.(٦)

---

(١) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٤،ص٢٧٣.

(٢) ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٣٤٤.

(٣) ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة ج١٤،ص٣٤١.

(٤) المقريزى: السلوك،ج٧ص٢٠٧. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ،ج١٤،ص٣٤٣.

(٥) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٤،ص٣٤٠، ٣٤٢.
ابن حجر: إنباء الغمر،ج٣،ص٤٣٨.

(٦) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٣٤٠.

- بسبب كثرة عدد الموتى وقلت التوابيت والنعوش التى يُحملوا عليها، صُنعت التوابيت لحمل الموتى وقُدمت للعامة على سبيل الصدقة. (١)

وهكذا استمر انتشار هذا الطاعون فى مصر أقل من عام، ما بين شهر صفر ١٤١٩/٨٢٢م، حتى نهاية شهر ذو القعدة، وحصد أرواح الآف من المصريين.

٣-انتشار الطاعون في مصر سنة١٨٤١هـ/ ١٤٣٧م والعادات المصاحبة له:

فى سنة ٨٤١هـ/١٤٣٧م انتشر الطاعون فى الوجه القبلى ببلاد الصعيد (٢)، وفي شهر شعبان تفشى الموتان في الأبقار، ونفق الكثير منها، و انتشر هذا الطاعون في مدينة القاهرة وضواحيها في بداية شهر رمضان، وبلغ عدد الموتى يومياً نحو عشرين شخصاً، وتزايد العدد حتى بلغ في نهاية الشهر نحو الثمانين شخصاً (٣)، ومع بداية شهر شوال بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة مائة شخص، وتزايد العدد حتى وصل إلى حوالي ثلاثمائة في منتصف هذا الشهر. وقد وصف المقريزي حالة الناس نتيجة تزايد أمر الوباء بقوله:" شمل الناس بالقاهرة ومصر من القبض والأنكاد ما لا يوصف، وذلك من تزايد عدد الأموات في كل يوم، فكانت عدة من رفع ذكره من ديوان المواريث في هذا اليوم، وهو يوم العيد من القاهرة مائة إنسان، بحيث إنى لم أُدرك في طول عمري عيداً كان أنكد على الناس من هذا العيد" (٤).

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٢٠٦. ابن تغرى بردى: المصدر السابق،ج١٤،ص٣٤٠. ابن حجر: المصدر السابق ،ج٣،ص٤٣٨.

(٢) المقريزى: السلوك ،ج٧ص٣٤٧. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص١٨٠. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ج٥،ص١٩.

(٣) المقريزى: المصدر السابق ج٧ص٣٤٩. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص٢٢.

(٤) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٣٥٢.

وروى لنا المقريزى ونقل عنه عدد من المؤرخين رواية طريفة حدثت أثناء هذا الوباء في هذا الشهر، ففي يوم الجمعة التاسع من شوال سرت إشاعة " أن الناس يموتون يوم الجمعة بأجمعهم قاطبة وتقوم القيامة، فتخوف غالب العامة من ذلك، فلما كان وقت الصلاة من يوم الجمعة المذكور، حضر الناس إلى الصلاة في جامع الأزهر، والناس تزدحم على الحمامات ليموتوا على طهارة كاملة، ولما جاء وقت الصلاة خرج الخطيب ورقى المنبر، وخطب الخطبة الأولى، وجلس للاستراحة بين الخطبتين، فطال جلوسه، فقلق الناس إلى أن قام وبدأ في الخطبة الثانية، وقبل أن يتم كلامه قعد ثانية واستند إلى جانب المنبر مدة طويلة، وظهر كالمغشي عليه، فاضطرب الناس لما سبق من أن الناس تموت في يوم الجمعة بأجمعهم، وظنوا صدق المقالة وأن الموت أول ما بدأ بالخطيب (١). وبعد قليل وقف رجل وصاح :مات الخطيب، فارتج الجامع وضج الناس، وضربوا أيديهم بعضها على بعض أسفًا وحزناً، وأخذني البكاء وقد اختلت الصفوف، وقام كثير من الناس يريدون المنبر، فقام الخطيب على قدميه، ونزل عن المنبر، فدخل المحراب وصلى من غير أن يجهر بالقراءة، وأوجز في صلاته حتى أتم الركعتين، وقدمت عدة جنائز فلم أدر من صلى بنا عليها، وإذا بالناس في حركة واضطراب، وعدة منهم يجهرون بأن الجمعة ما صحت".(٢)

وفي مستهل شهر ذي القعدة ازدادت حدة الطاعون، وخاصة في ضواحي مدينة القاهرة الشمالية والشرقية، حيث بلغ عدد الموتى حوالي ألف شخص يومياً، و تفشى الطاعون أيضاً في الإسكندرية، ودمياط، ودمنهور وتجاوزت عدة

---

(١) المقريزى: السلوك ،ج٧ص٣٥٤.

(٢) المقريزى: نفسه ،ج٧ص٣٥٤. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٥،ص٢٩.

من يموت بالإسكندرية في كل يوم مائة شخص.[١] وسجل المقريزى شدة فتك هذا الوباء بالأرواح بقوله:" وفي شهر ذي القعدة، أهلّ والناس في أنواع من البلاء الذي لم نعهد مثله مجتمعاً وشنع الموت في المماليك سكان الطباق، حتى لقد مات منهم في هذا الوباء نحو آلاف، ومات من الخدام الخصيان مائة وستون طواشى [٢]،ومات من الجواري بدار السلطان زيادة على مائة وستين جارية، سوى سبع عشرة حظية، وسبعة عشر ولدًا، ذكورًا وإناثًا، وشمل عامة دور القاهرة ومصر وما بينهما الموت أو المرض".[٣]

وفي منتصف هذا الشهر بدأ الطاعون بالتناقص تدريجياً حتى وصل عدد الموتى في نهاية (شهرذي القعدة ٨٤١ هـ/١٤٣٧م) إلى ثلاثين شخصاً، ثم ارتفع بالكلية، وقُدر عدد ضحايا هذا الوباء في مدينة القاهرة وضواحيها من بداية شهر رمضان حتى نهاية شهر ذي القعدة بمائة ألف نسمة، معظمهم من الأطفال والعبيد. [٤] وقد مات فى هذا الطاعون الكثير من الأعيان والمشهورين، ومنهم

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٣٥٧. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٣٠.

(٢) طواشى:هم المماليك الخصيان المعنيون لخدمة بيوت السلطان وحريمه. محمد أحمد دهمان: معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م، ص١٠٩.

(٣) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٣٥٦. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٣٢.

ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص١٨٤.

(٤) المقريزى: السلوك ،ج٧ص٣٥٨،٣٥٩. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ج٥،ص٣٧،٢٩.

المحتسب دولات خُجا الظاهرى[١]، والقاضى ناصر الدين محمد الفاقوسى الشافعى [٢]، والقاضى صلاح الدين محمد الفٌوى[٣]، والكثيرين غيرهم. [٤]

---

(١) دولات خجا:هو من مماليك الظاهر برقوق، تولى الكثير من الأعمال ، حتى تولى الحسبة على الرغم من كونه نصرانياً، واتصف بالقسوة والظلم ، ولم يرض عنه عامة المصريين لتعسفه وقسوته. ابن تغرى بردى: النجوم الزاهرة،ج١٥،ص٢١٨. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٣٤. السخاوى: الذيل،ج٢،ص٥٦٠. الضوء اللامع ،ج٣،ص٢٢١.ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص١٨٦.

(٢) ناصر الدين محمد بن بدر الدين حسن الفاقوسى الشافعى، والفاقوسى نسبة إلى منية الفاقوس إحدى قرى الشرقية من أعمال مصر بالحوف الشرقى.، ولد بالقاهرة٢٥صفر سنة٧٦٣هـ/١٣٦١م، وهو أحد أعيان المذهب الشافعى في مصر، وأحد محدثيها ، درس على علماء مصر وبلاد الشام ، وأخذ عنه الكثيرين من طلبة العلم ، وقد ولى بعض المناصب الإدارية ، منها ديوان الخاص فى عصر الظاهر برقوق. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ،ج١٥،ص٢١٧.السخاوى: الضووء اللامع،ج٧، ص٢٢١- ٢٢٣. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص٣٢. ياقوت الحموى: معجم البلدان،ج٤،ص٣٣٢.

(٣) صلاح الدين محمد بن الصاحب بدر الدين حسن بن نصر الله الفٌوى المصرى ، ولد في شهر رمضان سنة٧٩٠هـ/١٣٨٨م ، نشأ بالقاهرة في رعاية والده الصاحب بدر الدين، وتدرج في العديد من مناصب الدولة الإدارية، إلى أن تولى الحسبة في عصر الأشرف برسباى، ثم أصبح كاتب السر للسلطان قبل وفاته بعام واحد، وخلفه أبوه في كتابة السر للسلطان . ابن تغرى بردى: المصدر السابق ،ج١٥،ص٢١٨-٢١٩.
ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٣٣-٣٤. السخاوى: الذيل ،ج٢، ٥٦٠.

(٤) ذكرت العديد من المصادر أسماء المتوفين في هذا الطاعون من الأعيان والمشاهير ومنهم، المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٣٦٥- ٣٦٩. ابن تغرى بردى: المصدر السابق ج١٥،ص٢١٠-٢٢١. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٢٣،٣٠،٣٢، ٣٥، ٣٦.

- العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٤١هـ/١٤٣٧م:-

- العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى السلطان والوزاء :-

- أرسل السلطان الأشرف برسباى (٨٢٥ -٨٤١ هـ/١٤٢٢ - ١٤٣٧م)[١] يستفسر من العلماء عن سبب انتشار الطاعون، وما إذا كانت الذنوب والمعاصى لها صلة بظهور الطاعون. [٢]

- دعوة السلطان العلماء والفقهاء للجلوس بين يديه وقراءة كتاب البخارى كاملاً. [٣]

- استجابة السلطان برسباى لرأى العلماء بمنع خروج النساء إلى الشوارع والأسواق.[٤]

- العفو عن جميع المسجونين، وأُغلقت السجون بالقاهرة ومصر، وانتشر المجرمون فى البلاد.[٥]

---

(١) الأشرف سيف الدين برسباي الدقماقى الظاهرى ، وهو من المماليك الذين أعتقهم الظاهر برقوق ، وهو السلطان الثاني والثلاثون في ترتيب سلاطين دولة المماليك. تولّي السلطان "برسباي" عرش دولة المماليك، ٨٢٥هـ./٨٤١م ، ويُعدّ من عظام سلاطين الدولة المملوكية، وعلى يديه فُتحت قبرص ، وكان ملكاً جليلاً عاقلاً ، محباً لأهل العلم .السخاوى: الضوء اللامع ، ج٣، ص٨، ٩. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل،ج٥،ص٣٩، ٤٠.

(٢) المقريزى: السلوك،ج٧ص٣٥٠. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ج٥،ص٢٤ . ابن إياس: بدائع الزهور،ج٢،ص١٨٢.

(٣) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق ،ج٢،ص١٨٢. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٥،ص٢٤.

(٤) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٣٥٠. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص٢٨.

(٥) المقريزى: المصدر السابق ،ج٧ص٣٥١. ابن إياس: المصدر السابق ،ج٢،ص١٨٢.

- أمر السلطان بالتخلص من الخمور فى بيوت اليهود والنصارى، وكسرت آلاف الجرار.[١]

- منع النساء البغايا من مزاولة عملهن، وألزمهن بترك التكسب من المعصية، وأمرهن بالزواج. [٢]

العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى العلماء والفقهاء:-

- طاعة أولى الأمر من السلطان والأمراء، وقراءة القران وكتاب البخارى، والدعاء والتضرع إلى الله برفع الوباء [٣].

- طالب العلماء والفقهاء السلطان بوجوب العودة إلى الله ومنع ظهور المعاصى التى هى سبب ظهور الوباء. [٤]

العادات المصاحبة لطاعون ٨٤١هـ /١٤٣٧م لدى العامة من المصريين:-

- توقفت عملية الشراء والبيع وأغلقت الأسواق.[٥]

- أصيبت النساء من الأرامل والعاملات بالأسواق بضرر كبير، بسبب أوامر

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص١٨٤. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص٢٧.

(٢) وكان على طائفة المغانى والبغايا في جميع أنحاء مصر ضرائب مقررة تحصلها منهم ما تعرف بـ"الضامنة"، وكانت تلك الضرائب مقابل منح ترخيص لهؤلاء بمزاولة أعمالهن.
المقريزى: المصدر السابق،ج٥، ص٤.ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص١٨٤. مرفت عثمان حسن: طائفة المغانى فى مصر فى العصر المملوكى، طبعة ٢٠١٠، د.ت ،ص٣٨٤، ٣٨٥.

(٣) المقريزى: السلوك،ج٧ص٣٥٠. ابن إياس: بدائع الزهور ،ج٢،ص١٨٢.

(٤) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص١٨٢.

(٥) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٣٥٠، ٣٥٤. ابن إياس: المصدر السابق،ج٢، ص١٨٢.

السلطان بمنعهن من الخروج إلى الأسواق.(١)

- إقبال العامة على شراء ما يلزم لتجهيز الموتى من الأكفان والأقطان وما إلى ذلك.(٢)

- إغلاق سوق الرقيق وكساد التجارة فيه لكثرة من يموت من العبيد والإماء فى هذا الطاعون، وتوقف الناس عن شرائهم ولو بأبخث الأثمان. (٣)

ومما سبق يتبين أن هذا الطاعون قد استمر أقل من عام، من شهر شعبان ٨٤١هـ/١٤٣٧م، إلى شهر ذى القعدة من نفس السنة، وكان غالبية الضحايا من الأطفال والمماليك والعبيد.

طاعون سنة٨٨١هـ/١٤٧٦م والعادات المصاحبة له:

انتشر الطاعون في مصر فى سنة (٨٨١ هـ/ ١٤٧٦م)، واستمر هذا الطاعون إلى سنة(٨٨٢هـ/١٤٧٧م)، وقد بدأ انتشاره في مدينة دمياط وفارسكور، وذلك في شهر ربيع الأول (٨٨١ هـ /١٤٧٦م).(٤)وكان الطاعون قد انتشر في شهر رمضان (٨٨١ هـ /١٤٧٦م) في مدينة القاهرة، والفسطاط، والمحلة، التي وصل عدد الموتى فيها زيادة على مائتي شخص يومياً (٥)، وفي شهر شوال تزايد أمر الطاعون في مدينة القاهر. ووصف المؤرخون شدة فتكه بالناس، فتذكر المصادر أن الطاعون "أخذ بالزيادة وصار يتخطف الناس، وأخذ

---

(١) المقريزى: المصدر السابق،ج٧ص٣٥٠. ابن إياس: المصدر السابق،ج٢،ص١٨٢. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل ، ج٥،ص٢٤.

(٢) المقريزى: المصدر السابق ج٧ص٣٥٦.

(٣) المقريزى:المصدر السابق،ج٧ص٣٥٩. بن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص٣٤.

(٤) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٧،ص١٥٨. ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص١٢٢. السخاوى: الذيل ج٣،ص٨٧١.

(٥) بن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٦٧.

الناس الهلع الشديد والرعب والفزع، وكان طاعوناً وطياً يموت الإنسان فيه بعد طعنه بيوم أو يومين أو ثلاثة، فإن جاوزه اليوم الثالث رُجي له البرء وكان طاعوناً مهاباً...وفى آخر شوال مات كثير من الأطفال والجوارى والعبيد، وجزع الناس فيه لاسيما على أولادهم وخدمهم".(١)

وفي شهر ذو القعدة(٨٨١ هـ /١٤٧٦م) بلغ عدد الموتى في مدينة القاهرة وضواحيها نحو ستين شخصاً فى اليوم، وكان يُصلى على نحو المائة فى المصلى الواحد، كما انتشر الوباء فى بولاق(٢) ،ويصور لنا ابن شاهين الظاهرى حدة انتشار الوباء ويقول:" وصار يجرف الناس جرفاً، ورؤيت الجنائز كالقطارات، وربما صُفت الجنائز عشرة فى مرة واحد، بل وربما أزيد من ذلك ".(٣) وازدادت أعداد الموتى فى القاهرة وبلغت نحو ألف شخص، كما كثر الموت فى مماليك السلطان بالقلعة، فكان جملة من مات منهم أواخر ذى القعدة أكثر من أربعمائة.(٤)

وفي بداية شهر ذي الحجة (٨٨١ هـ/ ١٤٧٦م)، ازدادت حدة الطاعون، إذ وصل عدد الموتى يومياً إلى ثلاثة آلاف شخص، بل ذكر بعض المؤرخين أن العدد وصل إلى عشرة آلاف(٥)، ويسجل ابن شاهين عدم فرحة المصريين بعيد الأضحى لشدة فتك هذا الطاعون بهم خلال هذا الشهر، فيقول فيه: " كان

---

(١) ابن حجر: إنباء الغمر،ج٣،ص١٩٢. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٧،ص١٦٩،١٦٨، ١٧٠.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣،ص١٢٢.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٠.

(٤) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٤،١٧٠.

(٥) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٧،ص١٧٠.

عيد النحر من نوادر الأعياد وأغربها، وكونه ما وجد به السرور لأحد غالباً لكثرة الموتى والصياح عليهم والعويل، واشتغال الناس وبالهم عن العيد بموتـــاهم [١]، وفي نصفه حُسب من مات من الجند السلطاني من الجلبان والقرانصة فكانوا نحواً من ألفي نفر وزيادة، خارجاً عن السيفية وغير مشاة الخدمة، وعن الخدام مـــن الطواشية، وأما الخدام الطواشية فلم يبق منهم أحد حتى بقي الســـلطان عنـــده، وحكي عنه أنه مرة حمل مطخبه بنفسه حتى دخل بها إلى حريمه، وكان من مات من طواشية خدمته نحواً من خمسة وعشرين طواشياً، ومات من مماليك الأمراء شيئاً كثيراً، وعدم الناس الخدم من العبيد والإماء، ووقع فى هذا الطاعون نـــوادر كثيرة" [٢].

وقال أيضاً: "وخرجت هذه السنة والناس في وجل شديد وتخوف مـــا عنـــه مزيد مما حل بهم من هذا الوباء،...، وقد عم الطاعون سائر بلاد مصـــر قبليـــاً وبحرياً شرقاً وغرباً، وخلت منه الديار، بل والقرى ونجـــوع العـــرب، وصـــارت الموتى بالوجه القبلي تُرمى كالبهائم، وتُترك من غير تجهيز ولا تكفين ولا دفـــن، وربما مات جميع من في نجع فيرمُون عليهم بثوب الشعر ويتركوهم كمـــا هـــم، وجافت البلاد من جيف الموتى وسواحل النيل مما يرمون الموتى بلا دفـــن مـــن المراكب" [٣].

وبدأ هذا الوباء بالتناقص في نهاية هذا الشهر، حتى ارتفع بالكلية في نهاية شهر محرم سنة ٨٨٢هـ/١٤٧٧م.[٤] ، وقد زال هـــذا الطـــاعون بعـــد أن راح

---

(١) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٥.

(٢) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٥.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٧،ص١٨٤. ابن حجر: إنباء الغمر،ج٣،ص١٩٢.

(٤) ابن شاهين الظاهرى:المصدر السابق، ج٧،ص١٧٨. ابن إياس: بدائعلزهور،ج٣،ص١٢٥.

ضحيته آلاف المصريين ومات فيه كثير من الأعيان والأمراء، نذكر منهم أحمد ابن عيسى أمير عرب هوارة[١]، وقانصوه رفرف الإبراهيمى [٢]، والشيخ البهاء أبو الفتح القاياتى [٣]، وغيرهم من الأعيان والمشاهير.

العادات الاجتماعية المصاحبة لطاعون ٨٨١هـ /١٤٧٦م:-

- العادات لدى السلطان والأمراء والوزار:

- أصدر السلطان فى تلك الفترة الأشرف قايتباى(٨٧٢-٩٠١هـ/١٤٦٧-١٤٩٥م) [٤]، الأوامر بتجمع عدد من العلماء والفقهاء فى القلعة لقراءة كتاب البخارى.[٥]

---

(١) أحمد بن عيسى بن يوسف بن عمر بن عبد العزيز الهوارى، أمير العرب بهوارة فى صعيد مصر، وكان شاباً اشتهر عنه حسن الخلق والأدب الجم . السخاوى:الضوء اللامع، ج٢،ص٦٢. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق ، ج٥،ص١٧٩.

(٢) قانصوه رفرف الإبراهيمى الخاصكى، أحد فرسان المماليك الذين اشتهروا بحسن الخلق ،والأدب والفضيلة ، وكان له نصيب من التصوف. ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٦٨.

(٣) البهاء أبو الفتح محمد القاياتى الشافعى ، شيخ البيبرسية ، ودرس بالمدرسة الأشرفية ، كما تولى مشيخة مدرسة سعيد السعداء بالقاهرة. السخاوى: الذيل،ج٣،ص،٨٧٤.

(٤) الملك الأشرف قايتباى المحمودى الظاهرى الجركسى الأصل اشتراه الملك الأشرف برسباى، وتقلب في المناصب الإدارية والعسكرية ، ثم تولى سلطنة مصر سنة ٨٧٢هـ/ ١٤٦٧م ، وكان له من العمر خمسة وخمسون عاماً، وأقيمت فى عصره الكثير من المنشآت في مصر، منها برج المنار بالإسكندرية وهى التى أمر ببنائها على أنقاض المنار القديم، والقلعة المعروفة باسمه في الإسكندرية ، كما أمر بتجديدات في المسجد النبوى، والجامع الأموى بدمشق، والكثير من المدارس والمساجد والأسبلة في مصر والشام والحجاز، وتوفى سنة٩٠١هـ/ ١٤٩٥م، وكانت مدة حكمه تسعة وعشرين سنة. ابن شاهين الظاهرى: نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين ، تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م،ص١٤٣-١٤٦.ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص٣.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص١٢٢. ابن شاهين الظاهرى: الذيل، ج٧،ص١٦٦، ١٦٨.

- مشاركة بعض الأمراء والوزراء فى التخفيف عن كاهل المصريين وتخصيص أموال لتجهيز أعداد كبيرة من الموتى، ومن هؤلاء يشبك الداودار، وزين الدين الإستادار. [١]

- تخصيص يشبك الداويدار مكان لتغسيل الموتى بالقرب من مدرسة السلطان حسن، لتجهيز الموتى خاصة من الغرباء الذين لا مأوى ولا عائل لهم. [٢]

- العادات لدى العلماء والفقهاء:

لقد كان ظهور الطاعون وانتشاره بين الناس فرصة لتبادل الآراء حول المسائل الفقهية المتعلقة بمرض الطاعون، ومشروعية التجمع والدعاء، وغير ذلك من المسائل الى تظهر مع انتشار الوباء، غير أنه فى أحيان كثيرة كان المجلس يخرج عن كونه مجلسًا لسماع الحديث، ويطرقون إلى أحاديث أخرى لا فائدة منها.[٣]

- العادات المصاحبة لطاعون ٨٨١هـ /١٤٧٦م لدى عامة الناس:

- سادت حالة الحزن الشديدة بين عامة المصريين لانتشار الموت بين أطفالهم وخدمهم.[٤]

- أُفسدت فرحة المصريين بعيد الأضحى الذى تزامن مع شدة انتشار الطاعون.[٥]

وهكذا زال هذا الطاعون بعد أن استمر ما يقرب من عام، وكان أكثر الضحايا من الأطفال والعبيد.

---

(١) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٠.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣،ص١٢٦.

(٣) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٦٦.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص١٢٥. ابن شاهين الظاهرى: نيل الأمل، ج٧،ص١٦٩، ١٧٠.

(٥) ابن شاهين الظاهرى: المصدر السابق، ج٧،ص١٧٥.

انتشار وباء ٨٩٧هـ /١٤٩٢م فى مصر والعادات المصاحبة له:

عرف بعض المؤرخين هذا الطاعون بـ" الطاعون العام العجيب الذى لم يسمع بمثله"[١]، وكان أول ظهوره في مدينة بلبيس وسرياقوس [٢]، وقد بلغ عدد الموتى فيهما مائة شخص يومياً، بل يذكر السيوطي أن عدد الموتى بلغ في سرياقوس وحدها ثلاثمائة شخص يومياً. وفي شهر جمادى الأولى تفشى الطاعون في القاهرة [٣]، وازدادت حدته، وذكر بعض المؤرخين أن عدد الموتى بلغ في بعض أيام هذا الشهر عشرة آلاف شخصاً، وذكر آخرون أن العدد تراوح ما بين عشرين ألفاً وخمسة وعشرين .[٤]

ويبدو من ذكر هذا العدد المبالغة الكبيرة، ولكن رغم ذلك ذكر ابن إياس أن العدد الإجمالي لضحايا هذا الطاعون الذي تم إحصاؤهم فقط بلغ حوالي مائتي ألف شخص[٥]، وذكر السيوطي أن نصف سكان مدينة القاهرة ماتوا في هذا الطاعون [٦]، وهذا لعله مما يرجح صحة رواية المؤرخين السابقة. وقد بدأ هذا الطاعون بالتناقص في أواخر شهر رجب حتى ارتفع بالكلية فى شهر شعبان [٧]. ثم عاد بالظهور مرة أخرى في شهر المحرم سنة (٨٩٨ هـ/ ١٤٩٣م) وانتشر

---

(١) العماد الحنبلى (شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م): شذرات الذهب،تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير ، دمشق، بيروت، الطبعة الأولى،١٤١٤هـ/١٩٩٣،ج٩،ص٥٤١.

(٢) السخاوى: الذيل،ج٣،ص١٢٣٧. ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٢٨٦.

(٣) السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص١٢٣٧.

(٤) السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص١٢٣٨.

(٥) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص٢٨٩.

(٦) السيوطى: مقامات السيوطى،القسطنطينية ، الطبعة الأولى ،١٢٩٨م،ص٧٠.

(٧) السخاوى: الذيل،ج٣،ص١٢٣٧. ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٢٩٢.

بالإسكندرية، وكذلك في مدينة القاهرة والمناطق المجاورة لها في شـــهر رجـــب، واستمر هذا الطاعون إلى شهر رمضان، ومات به أعداد كبيرة من الناس[١].وقـــد توفى فى هذا الطاعون العديد من الأعيـــان والمشـــاهير، ومـــنهم الـــزين عبـــد اللطيف[٢]، وصلاح الدين بن محمد البدر السعدى.[٣]، وقانصوه الأشرفى [٤].

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٨٩٧هـ/١٤٩٣م:-

كان هذا هو الطاعون الثالث الذى يضرب البلاد فى سلطنة الأشرف قايتباى، وعلى الرغم من ذلك لم تحدثنا المصادر عن إجراءات اتخذها السلطان مع انتشار هذا الوباء فى البلاد.[٥]، ولعله اتخذ نفس الإجراءات التى حدثت فيما سبق مـــن أوبئة.

- أما العامة فنجد أنهم انتشر بينهم الأذكار والأدعية، وكذلك الـــدعوة للصـــوم والتضرع إلى الله، فكان الصوم لمدة سبعة أيام هو عادة المصريين عند ظهـــور هذا الوباء ظناً منهم أن هذا سيفيد فى رفع الوباء عن البلاد.[٦]

- قلة الأقمشة التى تستخدم لتكفين الموتى فى الأسواق، واضطر الأهـــالى إلـــى استخدام الأنواع الأقل جودة فى تكفين موتاهم، وهو ما يسمى بالخام واللحم. [٧]

---

(١) السيوطى: المصدر السابق ،ص٧١. السخاوى: المصدر الســـابق،ج٣،ص،١٢٣٨.العمـــاد الحنبلى: شذرات الذهب،ج٩،٥٤١.

(٢) السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص،١٢٨.

(٣) السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص،١٢٨٥.

(٤) قانصوه الأشرفى إينال ، وهو أحد قادة المماليك ، وهو أخو نائب سيباى حلب .السخاوى: المصدر السابق،ج٦،ص١٩٨.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٢٨٧.ابن دقماق: الجوهر الثمين ،ص١٢١.

(٦) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٣،ص٢٨٦. السيوطى: المقامات ،ص٧٠.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٢٨٧. السخاوى: الذيل،ج٣،ص،١٢٣٩.

- قلة المنتجات الغذائية المعروضة فى الأسواق، وارتفعت أسعارها. (١)

- انتقل كثير من المصريين للإقامة فى منطقة الروضة على نيل مصر، فراراً من الوباء، وظناً منهم أن الطاعون يقل فى المناطق القريبة من الماء. (٢)

- اتجه العديد من أصحاب الحرف والباعة للعمل فى التكسب بحفر اللحود لـدفن الموتى، وتكسب العديد من المصريين فى هذا العمل. (٣)

- اضطر الكثير من أهل مصر إلى مخالفة السنة والفرار بنفسه أو أهله للنجـاة من الطاعون والخروج من مصر، واتجه البعض منه إلى مكة أو المدينة، ومـن هؤلاء عبد البر بن الشحنة، وعشيره بن قُريبة. (٤)

وزال هذا الوباء بعد أن استمر أكثر من عام، وحصد حياة أعداد كبيرة مـن الأهالى.

طاعون سنة ٩٠٣هـ / ١٤٩٧م والعادات المصاحبة له:

تفشى مرض الطاعون فى مصر من جديد في شهر رجب سنة (٩٠٣هـ/١٤٩٧م)، وبدأ بالظهور في مدينة القاهرة، ومات بـه جماعـة مـن الناس(٥)، وأُحصي من مات إلى العشرين من شعبان فبلغ ألفين وثمانمائة وثمانين شخصاً (٦)، وفي بداية شهر رمضان ازدادت حدة الطاعون في مصر، إذ بلغ عدد

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٢٨٧. السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص،١٢٣٩.

(٢) السيوطى: المصدر السابق ،ص٧٠-٧١.

(٣) السخاوى: المصدر السابق ،ج٣،ص،١٢٣٩.

(٤) السخاوى: المصدر السابق،ج٣،ص،١٢٣٩-١٢٤٠.

(٥) ابن إياس: بدائع بدائع الزهور،ج٣،ص٣٨٧.ابن الحمصى (أحمد بـن محمـد بـن عمـر الأنصارى ت٩٢٤هـ): حوادث الزمان ،تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش،دار النفـائس، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م،ج٢، ص٣٢٤

(٦) ابن الحمصى: المصدر السابق،ج٢، ص٣٢٦.

الموتى يومياً حوالي ثمانمائة شخص من الأطفال والعبيد والمماليك [١]، وبدأ هذا الطاعون بالتناقص بالتدريج مع نهاية شهر رمضان حتى ارتفع بالكلية مع حلول شهر شوال، وبلغ العدد الإجمالي لضحايا هذا الطاعون مائتي ألف وستة وثمانين ألفًا وستة عشر شخصاً [٢].

العادات المصاحبة لظهور طاعون ٩٠٣هـ/١٤٩٧م:-

- لما كثر الموت فى المصريين، أصدر السلطان محمد بن قايتباى(٩٠١-٩٠٤هـ/١٤٩٥-١٤٩٨م) [٣] أمرًا بتعمير مكان لتغسيل الموتى وهو ما يعرف بـ" سبيل المؤمنين" [٤].

- شدد السلطان على المتولين لأعمال الحفر ودفن الموتى بضرورة الحفاظ على القبور من اعتداءات لصوص الأكفان، كما نُفذت أوامر السلطان فى أحد اللصوص بتعذيبه ثم تعليقه على باب النصر حتى الموت.[٥]

وعلى الرغم من قصر مدة هذا الطاعون، إذ لم يستمر أكثر من أربعة أشهر إلا أنه راح ضحيته أعداد كبيرة من الأطفال والمماليك والعبيد.

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق،ج٣،ص٣٨٩.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣،ص٣٩١. ابن الحمصى: المصدر السابق،ج٢،ص٣٢٨.

(٣) محمد بن قايتباى الملك الناصر أبو السعادات ابن الأشرف، تولى الحكم ١٦ذى القعدة سنة ٩٠١هـ/١٤٩٥م ، ولم تطل مدة حكمه فكانت أقل من ثلاث سنوات، ومات مفتولاً سنة٩٠٤هـ/١٤٩٨م.

ابن دقماق :الجوهر الثمين ،ص١٤٨، ١٤٩. ابن شاهين الظاهرى: نزهة الأساطين،١٤٧-١٤٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣،ص٣٩١.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٣،ص٣٩١.

ظهور الطاعون فى مصر سنة٩١٠هـ/ ١٥٠٤م والعادات المصاحبة له :

وفي شهر(رمضان سنة ٩١٠ هـ / ١٥٠٤م) انتشر الطاعون في مصر [١]، وفي شهر شوال ازدادت حدة الطاعون، وبلغ عدد الموتى أربعة آلاف شخص يومياً [٢]، واستهل شهر ذي الحجة والطاعون منتشر في مصر و"قد فتك في الناس فتكاً ذريعاً، وأفنى من المماليك والعبيد والجواري والأطفال والغرباء ما لا يحصى" [٣]، ولم يتناقص هذا الطاعون إلا في أواخر شهرذي الحجة. [٤]

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٩١٠هـ/١٥٠٤م:

_ عادات السلطان والأمراء والوزراء:

أظهر السلطان الأشرف قانصوه الغورى(٩٠٦- ٩٢٢هـ/١٥٠٠-١٥١٦م)[٥]العدل فى الرعية، وأوقف عدداً من الأوامر السلطانية، ومنها توقف

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٧٥.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٦.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٩.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٩.

(٥) قانصوه الأشرفى الجركسى المعروف بالغورى، والغورى نسبة إلى طبقة الغور وهى إحدى الطبقات التى كانت موجودة في مصر لتعليم المؤدبين ، تولى سلطنة مصر في أول شوال سنة٩٠٦هـ/ ١٥٠٠م، أُنشئت في عصره الكثير من المنشأت منها القبة والمدرسة والكتاب والسبيل المعروفون باسمه ، واستمر على سلطنة مصر حتى قتل في موقعة في مرج دابق شمال حلب في ١٥ رجب سنة ٩٢٢هـ/١٥١٦م .

ابن شاهين الظاهرى: نزهة الأساطين،١٥٥- ١٥٧.ابن طولون(شمس الدين محمد بن على بن احمد بن طولون الصالح ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م): مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور،دار الكتب العلمية ،بيروت ، لبنان ، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م،ص٢٢٢.

العمل بما يعرف بـ " المشاهرة " فى الحسبة، ولكن هذا القرار سرعان ما تم العدول عنه وعادة المشاهرة من جديد بعد توقف الطاعون من مصر. [١]

- أمر السلطان بتخصيص مكان لتغسيل الموتى للإسراع فى عملية تجهيز الموتى ودفنهم. [٢]

- أصدرت الأوامر بمنع النائحة على الميت، ومعاقبة من لم تلتزم بالأمر، كما منعت النساء من الذهاب إلى أماكن العزاء ليلاً.[٣]

- إراقة كميات كبيرة من الخمر فى بيوت اليهود والنصارى.[٤]

- غلق أماكن اللهو، ومنع بيع المواد المسكرة كالحشيش وغيره من المنكرات.[٥]

العادات المصاحبة لظهور لطاعون ٩١٠هـ /١٥٠٤م لدى عامة المصريين:

- ساد المجتمع المصرى الخوف والفزع من انتشار الطاعون. [٦]

- ارتفعت أسعار العديد من السلع التى قد تساعد فى الوقاية من مرض الطاعون، مثل الرمان والبطيخ، والسكر النبات.[٧]

---

(١) وعقوبة المشاهرة أو التجريس هى أحدى طرق العقاب فى عصر المماليك ، وهى أن يطوف بالشخص المذنب على حمار ويضرب الجرس على رأسه، ويُنادى عليه ليجتمع الناس حوله ، وأحياناً تزّفه المغانى ، ثم يُضرب وسط الناس بالسياط عقاباً له على ذنبه ابن إياس:المصدر السابق،ج٤،ص٧٧. سعيد عبد الفتاح عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ، دار النهضة العربية،القاهرة،١٩٩٢م ،ص١١٠.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٧٥.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٦.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق ،ج٤،ص٧٦.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٩.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٧٦.

ومن الأعيان والمشهورين الذين ماتوا بالطاعون، قاضى القضاة عفيف الدين أبو الطيب حسين [١].

طاعون ٩١٩ هـ /١٥١٣م فى مصر والعادات المصاحبة له:

كان هذا هو الطاعون الثالث الذى وقع فى سلطنة قانصوه الغورى، إلا أنه كان الأشد فتكاً بالناس عما قبله [٢] وفي شهر محرم سنة(٩١٩ هـ/١٥١٣م) انتشر الطاعون في مدينة القاهرة وضواحيها [٣]، وتزايد أمره فى شهر صفر، فقام أعيان الأمراء والموظفين بإرسال أطفالهم وزوجاتهم وخدمهم إلى منطقة جبل الطور لاعتقادهم بأنها لا يدخلها الطاعون [٤]، ويذكر لنا ابن إياس حادثة طريفة وقعت في هذا الطاعون، فقد نصح بعض الحكماء السلطان أن يلبس في أصابعه خواتم ياقوت أحمر؛ وذلك لأنه ينفع في منع الإصابة بمرض الطاعون، فقام السلطان بالعمل بهذه النصيحة وصار يلبس خاتمين في أصابعه [٥].

وفي هذا الشهر بلغ عدد الموتى حوالي ثلاثمائة وستين شخصاً يوميا [٦]، ومع بداية شهر ربيع الأول ازدادت حدة الطاعون، ومات من المماليك أعداد

---

(١) عفيف الدين أبو الطيب حسين بن محمد بن القاضى بن الشحنة،ولد بالقاهرة سنة ٨٥٨هـ/ ١٤٥٤م، تلقى تعليمه بالقاهرة، فدرس البخارى عن الشهاب الشاوى ، كما درس الحديث فى حلب ، وتولى القضاء بها، وتوفى بالقاهرة فى طاعون ٩١٠هـ. العماد الحنبلى: شذرات الذهب،ج١٠،ص٦٦.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص ٣٠٢.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤، ٢٩٥. ابن الحمصى: حوادث الزمان،ج٣،ص٤٩٦.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٢٩٨-٢٩٩.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٢٩٩.السيوطى: المقامات،ص٧٨، ٧٩.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٢٩٥.

كبيرة [١]، وبلغ عدد الموتى يومياً حوالي ثلاثة آلاف يومياً أكثرهم من الأطفال والعبيد والجوارى [٢]. وبدأ الطاعون بالتناقص في أواخر شهر ربيع الثاني [٣]، ولم تحدد المصادر وقت انتهائه كلياً.

العادات المصاحبة لانتشار طاعون ٩١٩هـ/١٥١٣م:-

- العادات لدى السلطان والأمراء وكبار موظفى الدولة:

– أظهر السلطان قانصوه الغورى العدل فى الرعية، وأمر برفع المظالم عن الناس، وأبطل المشاهرة، والمكوس المقررة على أصحاب البضائع والتجار، والمطاحن.[٤]

– أمر السلطان برفع الرسوم التى يحصلها أرباب الوظائف، كما أمر بمنع النقباء على أبواب الأمراء. [٥]

– صدرت الأوامر السلطانية بالعفو عن جميع المسجونات و إطلاق سراح النساء السجينات فى " سجن الحجرة".[٦]

– صدرت الأوامر بمنع تداول المواد المسكرة والمخدرة، كالحشيش وغيره، ومنع النساء المرخص لهم بالبغاء من ارتكاب الفواحش.[٧]

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٣٠٦.

(٢) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٣٠٨.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٣١٢.

(٤) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص ٣٠٤.

(٥) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص ٣٠٢.

(٦) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٣٠٣. سعيد عاشور: المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك ص١٠٩.

(٧) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٣٠٣.

- مع انتشار الطاعون ووقوع أعداد كبيرة من الموتى، أمر السلطان بفتح المغاسل للسبيل، كما جرت العادة عند انتشار الطواعين الأخرى. (١)

- مع انتشار هذا الطاعون ظهرت عادة جديدة لدى الأعيان والأمراء وأصحاب الوظائف الهامة بالدولة، وهى الخروج بأبنائهم إلى جبل الطور فى سيناء، اعتقاداً منهم أنه لا يصله الطاعون، فينجو من يسكن فيه من الموت، فخرج إلى جبل الطور قاضى القضاة عبد البر بن الشحنة وأولاده، وزوجة السلطان قانصوة الغورى ومعها ولدها، وعدد من الأمراء والأعيان وأبنائهم.(٢)

- العادات المصاحبة لطاعون ٩١٩هـ/١٥١٣م لدى العامة:

- كما هى العادة فى الطواعين السابقة، عمت المصريين حالة من الحزن والأسى لفقد الأبناء، فقد كان الأطفال هم الأكثر عدداً فى هذا الطاعون إلى جانب العبيد والجوارى.(٣)

- ظهرت عادات لدى العامة فى هذا الطاعون لم يعهدها المجتمع المصرى من قبل، ومن ذلك أنه كان أحدهم إذا ماتت له ابنة فى سن الشباب كان يقوم بوضع بعض أنواع الحلى على ظاهر النعش على موضع الرأس والقدم.(٤)

ومما سبق يتضح أن مصر قد تعرضت لوباء الطاعون فى عصر قانصوة الغورى أكثر من مرة غير أن الطاعون الثالث، والذى وقع سنة ٩١٩هـ/١٥١٣م،كان هو الأكثر خطراً وأشد فتكاً، وغالبية الموتى كانوا من الأطفال والعبيد.

---

(١) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٣٠١.

(٢) ابن إياس: بدائع الزهور،ج٤،ص٢٩٨، ٢٩٩.

(٣) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٣٠١، ٣١٠.

(٤) ابن إياس: المصدر السابق،ج٤،ص٣٠٤.

الخاتمـــة

الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات، والصـــلاة والســـلام علـــى أشـــرف المخلوقات سيدنا محمد وعلى آله وصحبه، وبعد...

فمن خلال الدراسة السابقة والتى تحدثت فيها عـــن: العـــادات المصـــاحبة للطواعين والأوبئة في مصر في عصر المماليك البحرية والبرجيـــة(٦٤٨-٩٢٣ هـــ/ ١٢٥٠ - ١٥١٧م)، تم التوصل إلى عدة أمور، نذكرها فيما يلى:

- تعددت الطواعين والأوبئة التى تعرضت لها مصر فى تلك الفتـــرة، وقـــد استعرضت بالدراسة الطواعين المشهورة منها، والتى كـــان لهـــا أثرهـــا علـــى المجتمع المصرى.

- على الرغم من تعدد الأوبئة والطواعين الى تعرضت لها مصر فى تلـــك الفترة، إلا أنه تتشابه فى العادات المصاحبة لظهورها فى كثيـــر مـــن الأحيـــان، ويمكن أن نوجزها فيما يلى:-

أولاً: عادات سلاطين المماليك والأمراء والوزراء والأعيان :-

- كان ظهور الطواعين والأوبئة دافعاً للسلاطين إلى العمل بأحكام الشـــرع وتطبيقها، فأصدرت الأوامر بالتخلص من الخمر لدى اليهود والنصـــارى، ومنـــع المواد المخدرة على اختلافها، وألغيت العديد من الضرائب والمكـــوس الجـــائرة، وكذلك مُنعت البغايا من مزاولة أعمالهن، كمـــا شُـــددت الأوامـــر علـــى اليهـــود والنصارى بالتزام ما أُمروا به فى ملابسهم ووجوب مخالفة المسلمين فى الـــزى والمظهر.

- حرص العديد من السلاطين والأمراء والأعيان على الابتعاد عن أمـــاكن الوباء فراراً من الموت بأنفسهم وأولادهم، فخـــرج العديـــد مـــنهم إلـــى مدينـــة سرياقوس، والروضة، وجبل الطور.

- تقديم المساعدات المادية والعينية لعامة المصريين، كتجهيز الموتى وجميع ما يلزم أعمال الدفن، ومن ذلك إشراف بعض الأمراء بأنفسهم على تغسيل الموتى، وتخصيص أماكن للغُسل وكذلك توفير التوابيت والنعوش.

- مشاركة العامة تجمعاتهم بالصحراء للدعاء والتضرع إلى الله برفع الوباء عن البلاد والتقرب إلى الله بالأضاحى وتوزيعها على عامة المصريين.

- فى بعض الأحيان تم إطلاق صراح المسجونين من الرجال والنساء بغرض التقرب إلى الله.

ثانياً: العادات لدى العلماء والفقهاء فكانت :-

- الحرص على توجيه عامة المصريين إلى التضرع إلى الله والتوبة من الذنوب والمعاصى التى قد تكون سبباً فى ظهور الطاعون وانتشار الوباء.

- أجاز بعض العلماء مسألة التجمع والدعاء إلى الله لرفع الوباء، بينما عارض البعض الآخر.

- اعتاد علماء مصر وفقهاؤها على التجمع وقراءة كتاب البخارى كاملاً.

ثالثاً: العادات المصاحبة لانتشار الطاعون لدى عامة المصريين :

- سادت حالة الحزن والأسى عامة المصريين بسبب انتشار الموت بين الأهل والأحبة.

- صيام ثلاثة أيام أو أكثر، والتضرع لله والدعاء برفع الوباء.

- تحول أصحاب الحرف والصناع عن أعمالهم إلى أعمال تجهيز الموتى ودفنهم بغرض التكسب من ذلك.

- صاحب انتشار الطواعين والأوبئة فى مصر انخفاض أسعار السلع فى الأسواق، مع ارتفاع أجور أصحاب الأعمال والصناعات لقلة عدد المشتغلين بها.

- إغلاق الأسواق وتوقف حركة البيع والشراء لانشغال عامة المصريين بالمرضى أو الموتى.

- تزايد ازدحام العامة على طلب الأكفان والنعوش وانعدامها فـــى أحيـــان كثيرة مع كثرت أعداد الموتى.

- فى بعض الأحيان أصيبت بعض النساء من الأرامل و العاملات بالأسواق بضرر كبير بسبب منعهن من الخروج إلى الشوارع والأسواق.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين....

قائمة المصادر والمراجع

أولاً المصادر:

ابن أبي الدنيا (عبد الله محمد عبيد البغدادي أبو بكر ابن أبي الدنيا ت ٢٨١هـ / ٨٩٤م)

١-العقوبات، تحقيق: محمد خير رمضان يوسف، دار ابن حزم سنة، ١٤١٦ – ١٩٩٦.

أحمد بن حنبل (أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني ت ٢٤١هـ / ٨٥٥م).

٢-مسند الإمام أحمد، دار إحياء التراث العربي،١٤١٤هـ / ١٩٩٣م.

ابن إياس(محمد بن أحمد بن إياس الحنفي ت ٩٣٠هـ/ ١٥٢٣م)

٣- بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٤٠٤هـ/ ١٩٨٤م.

ابن أيبك (أبي بكر بن عبد الله بن أيبك الدوداري ت ٧١٣هـ/ ١٣١٣م)

٤- كنز الدرر،نشر وتحقيق قسم الدراسات الإسلامية بالمعهد الألماني للآثار بالقاهرة،د.ت.

البيهقى (أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي ت ٤٥٨هـ/ ١٠٦٦ م)

٥- السنن الكبرى، مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م ، دار المعرفة.

ابن تغرى بردى(جمال الدين أبى المحاسن بن تغرى بردى الأتابكى ت ٨٧٤هـ/ ١٤٦٩م):

٦- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية،د.ت.

ابن الجزري (محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الجزري القرشي أبو عبد الله)

٧- تاريخ ابن الجزري، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى،المكتبة العصرية،صيدا-بيروت،لبنان، ١٤١٩ هـ ١٩٩٨ م

الحاكم(أبو عبد الله الحاكم محمد ابن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري ت ٤٠٥هـ/ ١٠١٤م)

٨- المستدرك، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت،الطبعة الأولى، ١٤١١ - ١٩٩٠.

ابن حبان(محمد بن حبان بن أحمد بن حبان بن معاذ بن مَعْبدَ، التميمي، أبو حاتم، الدارمي، البُستي ت ٣٥٤هـ/٩٦٥م).

٩- صحيح ابن حبان،، تحقيق محمد عبد المعيد خان، دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن الهند، الطبعة الأولى، ١٣٩٣ ه / ١٩٧٣.

ابن حجر العسقلانى: أبوالفضل شهاب الدين أحمد بن على بن محمد الكناني (ت ٨٥٢هـ/١٤٤٨م).

١٠- إنباء الغمر بأبناء العمر، تحقيق حسن حبشي، القاهرة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية، لجنة إحياء التراث الإسلامي،١٤١٥هـ/ ١٩٩٤م.

١١- بذل الماعون في فضل الطاعون، تحقيق أحمد عصام عبد القادر،دار العاصمة،الرياض،د.ت.

ابن الحمصى (أحمد بن محمد بن عمر الأنصارى ت٩٢٤هـ/١٥١٨م)

١٢- حوادث الزمان، تحقيق عبد العزيز فياض حرفوش، دار النفائس، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤٢١هـ/٢٠٠٠م.

الحميري(أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن عبد المنعم الحِميرى ت: ٩٠٠هـ/١٤٩٥م)

١٣- الروض المعطار في خبر الأقطار، تحقيق إحسان عباس، مؤسسة ناصر للثقافة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٤.
أبو داوود (سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السِّجِسْتانى ت٢٧٥هـ / ٨٨٨م)
١٤- سنن أبى داوود، كتاب الملاحم، باب الأمر والنهي، حديث رقم ٤٣٣٩.
-ابن دقماق(إبراهيم بن محمد بن أيدمر العلائى ت ٨٠٩هـ/ ١٤٠٦م)
١٥-الجوهر الثمين فى سيرة الملوك والخلفاء والأساطين، تحقيق سعيد عبد الفتاح عاشور، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمى وإحياء التراث .١٩٨٢
١٦-النفحة المسكية في الدولة التركية – من كتاب الجوهر الثمين في سير الخلفاء والملوك والسلاطين، تحقيق: عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، المكتبة العصرية، صيدا- بيروت، ١٩٩٩ م.
الذهبي (شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان ت ٧٤٨هـ/١٣٤٧م)
١٧- تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام،تحقيق: د. عمر عبد السلام تدمري، الطبعة الأولى، دار الكتاب العربي، لبنان، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
السخاوى(شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى ت ٩٠٢هـ/ ١٤٩٦م)
١٨- الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، دار الجيل، بيروت، د.ت.
١٩- وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق بشار عواد معروف وآخرون، مؤسسة الرسالة. د ت.
- ابن سينا (الشيخ الرئيس أبوالحسين بن على بن سينا ت٤٢٨هـ/ ١٠٣٦م)

٢٠- القانون في الطب، تحقيق محمد أمين الضناوى، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان،الطبعة الأولى،١٤٢٠هـ/١٩٩٩م.

السيوطى(عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد ابن سابق الدين الخضيري السيوطي جلال الدين ت٩١١هـ/ ١٥٠٥م)

٢١- حسن المحاضرة فى تاريخ مصر والقاهرة،تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم،القاهرة،الطبعة الأولى،١٣٨٧هـ/١٩٦٨م.

٢٢- مقامات السيوطى، القسطنطينية، الطبعة الأولى،١٢٩٨م،.

ابن شاهين الظاهرى(زين الدين عبد الباسط بن خليل بن شاهين الظاهرى الحنفى ت ٩٢٠هـ/ ١٥١٤م)

٢٣- نزهة الأساطين فيمن ولى مصر من السلاطين،تحقيق محمد كمال الدين عز الدين على،مكتبة الثقافة الدينية،القاهرة،الطبعة الأولى،١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٤- نيل الأمل في ذيل الدول، تحقيق عمر عبد السلام تدّمرى، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى،١٤٢٢هـ/٢٠٠٢م.

الطبرانى(سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي، أبو القاسم الطبراني ت٣٦٠هـ/٩٧١م)

٢٥- المعجم الكبير، دار المعرفة، الطبعة الأولى،١٤١١ هـ/ ١٩٩٠م.

ابن طولون(شمس الدين محمد بن على بن احمد بن طولون الصالح ت ٩٥٣هـ/١٥٤٦م)

٢٦- مفاكهة الخلان فى حوادث الزمان، تحقيق خليل المنصور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ١٤١٨هـ/١٩٩٨م.

- عبد المؤمن بن عبد الحق، ابن شمائل القطيعي البغدادي، الحنبلي، صفيّ الدين ت٧٣٩هـ/١٣٣٨م)
٢٧- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع،تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
العماد الحنبلى(شهاب الدين أبى الفلاح عبد الحى بن أحمد بن محمد العكرى الحنبلى الدمشقى ت١٠٨٩هـ/ ١٦٧٨م)
٢٨- شذرات الذهب، تحقيق عبد القادر الأرناؤوط، دار ابن كثير، دمشق/بيروت، الطبعة الولى،١٤١٤هـ/١٩٩٣.
العيني (بدرالدين أبو محمد محمود بن أحمد بن موسى بن أحمد بن حسين الحنفى ت ٨٥٥هـ/١٤٥١م)
٢٩- عقد الجمان في تاريخ أهل الزمان، تحقيق: محمد أمين، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٨٧-١٩٨٨م.
أبو الفداء(عماد الدين إسماعيل بن علي بن محمود بن محمد ابن عمر بن شاهنشاه بن أيوب، الملك المؤيد، ت ٧٣٢ هـ/١٣٣١م)
٣٠- المختصر في أخبارالبشر، تحقيق محمود ديوب، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت،لبنان، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م
ابن كثير(إسماعيل بن عمر بن كثير الدمشقى ت٧٧٤ هـ/١٣٧٢م)
٣١- البداية والنهاية، مكتبة المعارف، بيروت، لبنان،الطبعة السابعة،١٤٠٨هـ/١٩٨٨م

ابن ماجة(أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني، وماجة اسم أبيه يزيد ت ٢٧٣هـ/ ٨٨٦م)

٣٢- السنن، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء الكتب العربية، فيصل عيسى البابي الحلبي، د.ت.

المقريزى (تقى الدين أبى العباس أحمد بن على بن عبد القادر العبيدى المقريزى ت ٨٤٥هـ/ ١٤٤١ م):

٣٣- السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبد القادر عطا،دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى،١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

اليافعي(أبو محمد عبد الله بن أسعد بن علي بن سليمان ت ٧٦٨هـ/١٣٦٦م)

٣٤- مرآة الجنان وعبرة اليقظان في معرفة حوادث الزمان، د.ت.

ياقوت الحموي: (شهاب الدين أبى عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي ت٦٢٢هـ/١٢٢٥م).

٣٥- معجم البلدان، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ/١٩٧٧م.

ثانياً المراجع:-

أحمد السعداوى

١-.المغرب الإسلامى في مواجهة الطاعون،١٩٩٥، بيانات النشر بدون.

جليل أبو الحب

٢- الحشرات الناقلة للأمراض،عالم المعرفة،الكويت، ١٩٨٢ م.

سعيد عبد الفتاح عاشور

٣- المجتمع المصرى فى عصر سلاطين المماليك، دار النهضة العربية، القاهرة،١٩٩٢م.

عاهد طه عبد اللطيف سلمان
٤- الرسائل الوصفية فى العصر المملوكى الأول، رسالة ماجستير غير منشورة، جامعة مؤتة، الأردن،٢٠٠٧م.
علي علي المرسي
٥- أساسيات علم الحشرات، ط ١، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٤٢٥ هـ / ٢٠٠٤ م.
محمد أحمد دهمان
٦- معجم الألفاظ التاريخية فى العصر المملوكى، دار الفكر المعاصر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ/١٩٩٠م.
مرفت عثمان حسن
٧- طائفة المغانى فى مصر فى العصر المملوكى، ٢٠١٠، بيانات النشر بدون.